الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المـــــركز الجامعي-ميلة

معـــهد الآداب واللغـــات

ميدان اللغة و الأدب العربي

استلهام التراث الشعبي عند واسيني الأعرج

سيـــــدة المقام - نمـــــوذج -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس – LMD –

(تخصص أدب عربي)

إعداد الطالبة:

❖ فنـــاش منـــى

إشـــراف الأستـــاذ :

لزهر مساعدية

السنة الجامعية

2011-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

" ..... ربي اشرح لي صدري و يسر لي أمري

و احلل عقدتي من لساني يفقه قولي...."

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا أخفقنا و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح .

اللهم إذا أعطيتنا النجاح فلا تأخذ تواضعنا ، و إذا أعطيتنا تواضعنا فلا تأخذ اعتزازنا بكبر أمتنا.

شكر و تقدير

لا بد لنا و نحن نخطوا خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير ، باذلين بذلك جهودا كبيرة من أجل ايصال الأمانة ، و قبل أن أمضي أقدم أسمى آيات الشكر و الإمتنان و التقدير و المحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ..... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة ، إلى جميع أساتذتنا الأفاضل .

" كن عالما ..... فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء فإن لم تستطع فلا تبغضهم "

كما أخص بالتقدير و الشكر إلى أستاذي المشرف

" لزهر مساعدية "

على ما قدم لي من نصح و توجيه و رسم للطريق السديد لإنجاز هذا البحث .

الإهداء

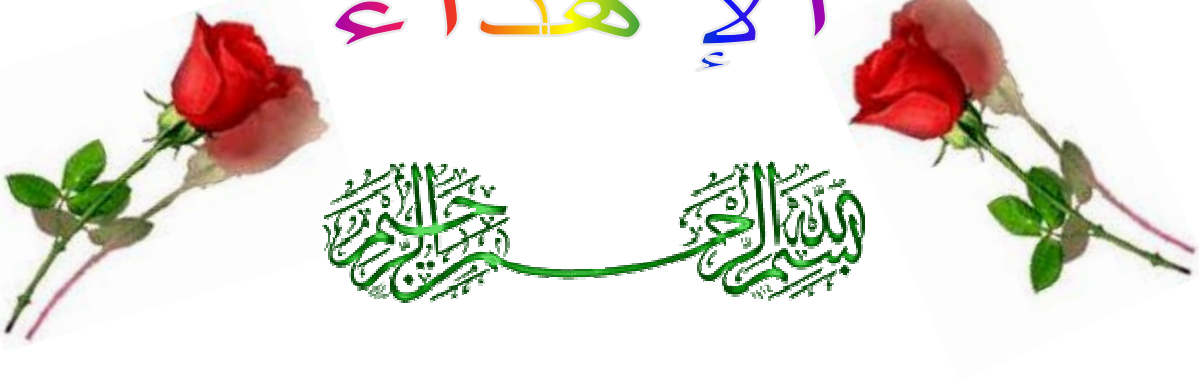

أولا الحمد لله الذي أعانني ووفقني في مشواري الدراسي ، فالحمد لله على كل شيء.

إلى ملاكي في الحياة ، إلى معنى الحب و العطاء ، إلى رمز الحنان و التفاني إلى سر وجودي ، إلى من كان دعاءها سبب نجاحي ، و عطفها بلسم جراحي (أمي الحبيبة).

إلى كل من كلله الله بالهيبة و الوقار ، إلى من علمني العطاء بدون انتظار ، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، أرجو الله – سبحانه و تعالى – لأن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار ، و ستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم و في الغد و إلى الأبد (أبي الغالي).

إلى من كبرت على يدهما و ترعرعت في أحضانهما " ماما" و "بابا".

إلى جدتي – أطال الله في عمرها – .

إلى عمودا بيتنا العزيزان على قلبي : أخواي "محمد " و " سمير " و أخي المدلل ، كاسر سكون بيتنا : " أشرف " الغالي .

إلى من لا أستطيع العيش من دونهما : أختاي الرائعتان " أحلام " و " سيمو"

إلى أختي التي أحبها و أقدرها وفاء و زوجها عمار .

إلى التي دفعتني دائما نحو التحدي : أختي نعلة و زوجها توفيق .

إلى التي كانت لي عونا دائما ، و نورا مضيئا و قدمت لي العون ، و من دونها ما أتممت هذا البحث : أختي الحبيبة لبنى و زوجها فوزي .

إلى طيور الجنة : محمد، سيرين ، آلاء ، آدم ، سيدرا ، قصي و الكتكوت لؤي.

إلى عميمي و زوجته " خالتي بيبية ".

إلى من كبرت بجانبهم و أحببتهم كثيرا أولاد عمي : صورية ، إكـــرام ، عبلـــة ، موسى ، عيسى و سيفو.

إلى كل عماتي و أبنائهم .

إلى كل أخوالي و خالاتي و أبنائهم .

إلى بريزة و زوجها عبد الوهاب و أبناءها .

إلى فريدة و زوجها الزوبير و أبناءها .

إلى كـــــــــــل العائلة .

إلى رفيقات دربي و أخواتي : سميرة، أمينة ، عايدة ، روفية ، كريمة ، دون أن أنسى المدللة كنزة .

إلى كل من عرفتهم أصدقاء و فارقتهم أحباب : صفاء ، صورية ، فضـــيلة، فـــايزة ، كريمة ، عفاف ، سلوى ، ياسمينة .

إلى كل من تذوقت معهم أجمل اللحظات .

إلى من سأفتقدهم و أتمنى أن يفتقدوني .

إلى من جعلهم الله أحبائي .

إلى من جمعوا بين سعادتي و أحزاني .

إلى من أتمنى أن يذكروني .

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في عيوني .

إلى كـــــــــل الأحباب و الأصدقاء ، و كـــــل من نسيهم قلمي سهوا .

المقدمـــــة

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمـــــــــة.....	ـــ
مدخـــــــــل.....	07-02

الفصـــــــل الأول(التراث الشعبي)

المواضيـــــــــــع	الصفحـــة
مقدمـــــة الفصل.....	- 09 -
I/ ماهية التـــــــراث .	
01/تعريف التراث الشعبي.....	-10 -
02 / خصائص التراث الشعبي.....	-11 -
03/ مظاهر التراث الشعبي.....	-12 -
أ / الحكايـــة الشعبيـــة.....	-12 -
ب / المثل الشعبي.....	-13 -
ج/النكتة الشعبية.....	-14 -
د/ الألغاز الشعبية.....	-15 -
م/ الأغنية الشعبية.....	-16-
و/ الحكمة الشعبية.....	-16-
ن/الحكاية الخرافية الشعبية.....	-17-

هـ / الأسطـــــورة.....	-18-
II - حضور التراث الشعبي في الرواية المعاصرة .	
01/توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة.....	21-19
02/توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية.....	24-21

الفصـــل الـــثـــاني(التراث الشعبي في رواية " سيدة المقام")

المواضيـــــــــــع	الصفحـــة
مقدمـــــــــة الفصل.....	-26-
01/ملخص رواية " سيدة المقام ".....	29 -27
02/استلهام التراث الشعبي في رواية سيدة المقام.....	-30 -
أ/المثـــل الشعـــبي.....	36 -31
ب/ الأغنية الشعبية.....	42 -37
ج / الحكاية الشعبية (القصة الشعبية)	43 -42
د/ الطقوس الشعبية (العادات و التقاليد).....	44 -43
خاتمـــــــــة.....	ـــــ
قائمة المراجع والمصادر	ـــــ
الفهرس :.....	ـــــ

الفصل الأول

التراث الشعبي

الفصل الثاني

التراث الشعبي في رواية سيدة المقام

مدخـــــل

- بواعث و أسباب ظهور التراث الشعبي
- نبدة عـــن حيـــــاة " واسيني الأعرج "

خاتمـــــــة

مقدمـــــــة :

إن الدارس للأدب الشعبي كأنه يغوص في بحر ليس له قرار ، و على الرغم مما يدعيه البعض بأن هذا النوع من الأدب لا يصلح مع وقتنا الراهن ، و لكن هذا غير صحيح فأنا أدعوهم إلى الإبحار معنا فيه ، و هذا لكي يستنشقوا روائح عطوره ، و يمتعوا أنظارهم بأشكاله الفنية الجميلة ، و ينتعشوا بنسماته ، لكي يحسوا بقيمته و جدوى كينونته في حياة العامة ، و من بين الأنهار العريقة التي تصب في بحر الأدب الشعبي ، و التي لا تتوقف عن الجريان " التراث الشعبي " ، و الذي يعتبر ذاكرة الأمم و مخزونها الذي يتجدد بتجدد الفكر الإنساني .

إن الأدب بشكل عام هو إثراء للحياة ، و ما ينبع من تجربة الوعي الجمالي هو إثراء للرواية ، و التراث الشعبي هو أحد أوجه الجمال الإبداعي في رصيد الإنسانية ، و لذلك كان المهم هو التعرف على قدرة الروائي في استلهام التراث الشعبي و تمثله في الصياغة و التعبير ، و توظيف مرجعياته المعرفية في خدمة النص توظيفا لا يجهل روح التاريخ و أبعاد التجربة الإنسانية بما يمتلكه من عمق و قدرة خلاقة أثبتتها عصور التراث ، و بما يبعث في الروائي المعاصر مهارة تطويع المصادر التراثية و المعرفية لخدمة التجربة الروائية للتعبير عن رؤاه المختلفة للحضارة و فهمه لأسرار الحياة .

لقد احترت في اختيار الموضوع ، وبعد أخذ ورد اهتديت إلى اختيار موضوع في الأدب الشعبي ، و هو بالضبط في التراث الشعبي ، فنتيجة تعلقي بهذه المادة و ولعي بها ، اخترت موضوع " استلهام التراث الشعبي في روايات" واسيني الأعرج ".

و بالرغم من أنه لم تكن لدي أدنى فكرة عن الموضوع ، إلا أنني و الحمد لله وجدت أساتذة أعانوني و ساعدوني كثيرا سواء بالكلمة أو بالمادة العلمية ، و طبعا دون أن أنسى أستاذي المشرف الذي حثني على الجد و العمل من أجل إتمام هذا البحث لأنه يمثل وجه الطالب ، حسب رأيه. بدأت عملي بالبحث ومحاولة الإلمام بأكبر قدر ممكن من المعلومات حول التراث الشعبي و توظيفه في الرواية المعاصرة ،كذلك جمع ما يمكن جمعه من معلومات حول الروائي الجزائري" واسيني الأعرج " و روايته"سيدة المقام ".

بعد ذلك قمت بوضع خطة عمل لكي أسير وفقها ، فقمت بتقسيم الموضوع إلى مدخل و فصلين مع مقدمة و خاتمة.

المدخل : خصصته لمعرفة الدواعي و الأسباب التي جعلت الرواية العربية المعاصرة تتبنى توظيف التراث في مجال الرواية ، مع نبذة عن حياة " واسيني الأعراج " و أسلوبه الروائي .

الفصل الأول : قمت فيه بالبحث حول التراث الشعبي ، فوضعت تعريفا له ، مع ذكر خصائصه و مظاهره ، ثم عرجت على حضوره في الرواية العربية المعاصرة ثم خصصت حضوره في الرواية الجزائرية ، بحكم أن واسيني الأعرج روائي جزائري .

أما الفصل الثاني : الفصل التطبيقي ، و الذي وضعت فيه تلخيصا لرواية سيدة المقام " واسيني الأعرج " ثم قمت باستخراج مواطن ظهور مظاهر التراث الشعبي في الرواية مع دراستها دراسة وصفية .

و في الأخير ، خاتمة تتضمن نتائج البحث .

و كأي بحث لا يخلو من الصعوبات المتمثلة في نقص المراجع و المصادر و صعوبة الحصول عليها ، و لكن بعون الله و حمده ، و عزمي على أن يكون موضوعي يليق بجهدي و جهد أستاذي المشرف .

اعتمدت في بحثي على بعض المصادر كـــ لسان العرب لا بن منظور الذي ساعدني في التعريف اللغوي لبعض المصطلحات ، كذلك بعض الروايات المتمثلة في رواية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد) ، و " عبد الحميد ابن هدوقة " (ريح الجنون) و " واسيني الأعرج " (سيدة المقام) ، إلى جانب عدة مراجع أبرزها كتاب بلحيا الطاهر (التراث الشعبي في الرواية الجزائرية) و " ظلال حرب" (أولوية النص) و إبراهيم منصور الياسين (استحياء التراث في الشعر الأندلسي) .

و أخيرا و قبل أن أختتم هذه المقدمة رأيت من الواجب أن أسدي الشكر لمن يستحقه ، و لهذا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في هذا البحث فأعترف بجميل أستاذي المشرف " لزهر مساعدية " على ما قدم لي من نصح و توجيه و رسم للطريق السديد لإنجاز هذا البحث ، و على ما أفادني به من تجربته و خبرته في مجال البحث الأدبي ، كما أشكر عمال المكتبة بجامعة ميلة ، و المكتبة البلدية بزغاية ، و الجامعة المركزية بقسنطينة ، وكل من ساعدني من قريب أو من بعيد في المضي قدما لإتمام هذا البحث .

و أتمنى أن أكون قد أحطت ، ولو بقدر يسير ، بموضوع البحث و استوفيت جزءا من حقه.

مـــــــدخل :

لقد شكل التراث الشعبي أحد العناصر الهامة التي استلهـــمها الشعراء و الأدباء ، و الكتاب خلال العصـــر الحديث ، فقد عمدوا بمختلف انتماءاتهم و تميز أشكالهم التعبيرية و توجهاتهم الفنية إلى الأخذ من ينابيعه الصافية ، و ذلك بالنظر إلى ما ينجزه التراث من طاقات حية على مستوى الشكل و المضمون ، و هذا ما يفسر لنا مدى اهتمام الروائيين بتوظيف التراث الذي يمثل روح الشعب و هويته .

و نظرا لشيوع مصطلح التراث الشعبي و أخده مكانة مرموقة خاصة في مجال الرواية العربية المعاصرة و انصهاره و ذوبانه في أقلام الروائيين بشكل واضح و كبير ، فهذا – دون شك – يدعونا إلى معرفة البواعث و الأسباب التي دعت إلى ظهوره .

– بواعث و أسباب ظهور التراث الشعبي : [1]

من بين البواعث و الأسباب التي دفعت بالرواية العربية إلى تبني التراث الشعبي و التأثر به–و قد أظهرت ذلك في عدة روايات– نذكر منها :

1– **البواعث الواقعية :** إن هزيمة العرب في حرب 1967 ، جعلت المثقفين يقتنعون بضرورة العودة إلى التراث لتغيير المفاهيم ا لفكرية و السياسية و الثقافية ، و ذلك من أجل النهوض و تحقيق قفزة حضارية .

2– **البواعث الفنية :** نتيجة لتأثر الرواية العربية بالرواية الغربية ، و أدى ذلك إلى الدعوة للاهتمام بالتراث و توظيفه في الروايات العربية ، خاصة بعد ظهور الروايات التي تنتمي إلى أمريكا اللاتينية و اليابان و أفريقيا التي تميزت بتوظيف التراث و الغوص في البيئة المحلية .

3– **الحركة الثقافية :** و هي ترى بأنه يجب الاستقلال و التميز و عدم التبعية للغرب و تقليد أدبه ، و هذا انطلاقا من مسألة توظيف التراث الذي يمثل الصورة الناطقة عن أمة من الأمم .

لم يتوقف الباحثون حول معرفة و تحديد البواعث التي دعت إلى تبني و استخدام أو استلهام – إن صح القول– التراث الشعبي في الكتابات الروائية المعاصرة إلى هذا نجد "عامر مخلوف" الذي يرى بأن هذه البواعث غير كافية لتحديد دواعي توظيف التراث في الرواية ، فأضاف بعض البواعث و هي:

---

[1] أحسن ثليلاني ، مخطوطة دكتورة العلوم في الأدب العربي الحديث ، توظيف التراث في المسرح الجزائري ، جامعة منتوري- قسنطينة 2010 ، ص 18 .

1- **المقاومة** : و هذا يعني بأنه وجب إحياء التراث و التمسك به ، و ذلك من أجل مقاومة الاستعمار الذي يهدف إلى طمس و إتلاف معالم الهوية .

2- **الاستقلالية و التميز** : و ذلك بالتخلص من الأفكار المستوردة ، و نقصد بها التبعية للغرب ، و الاعتماد على التراث الذي يضفي نوعا ما من الخصوصية على الرواية العربية .

3- **المعارك الفكرية حول التراث** : فقد تحول التراث إلى سلاح ايدولوجي ، و ذلك انطلاقا من اشتداد الصراع بين المعسكرين الرأسمالي و الاشتراكي ، و هذا الأمر أدى إلى بروز مؤلفات فكرية و فلسفية تتبنى التراث و هذا – دون شك – انعكس على الكتابة الأدبية عامة ، و الروائية خاصة .

4- **جمالية التراث و طبيعـــة الرواية** : فالتراث يتميز بالجمال و التنوع الذي يجعله يؤثر و يجدب الآداب العالمية ،كما أن طبيعة الرواية الموسوعية لها القدرة على احتضان عدة أجناس أدبية ، و بالتالي القدرة على توظيف التراث .

5- **العامل السياسي** : إن ارتباط الأحزاب السياسية العربية ، و في مقدمتها حزب البعث ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتراث ، وجعلته الركيزة الأساسية في تفكيرها، و هذا ما أدى إلى تجلي أثر التراث في البحث الفلسفي و الكتابات الأدبية .

و إذا ما تأملنا هذه البواعث التي وضعها " عامر مخلوف" لوجدنا أنه لم يخرج عما تناولناه سابقا .

و انطلاقا من معرفتنا لبعض البواعث و الأسباب ، يتضح لنا بأن التراث الشعبي أضحى بالنسبة للروائيين العرب " بديلا خياليا للواقع ، و في هذا تكمن طاقته الخصبة و محموليته الثرية لعكس المعاناة التي يعيشها الفرد يوميا "[1] ، و هذا يعني بأن التراث الشعبي هو تصوير فوتوغرافي عن حياة الأفراد و مبادئهم و معتقداتهم. و بما أن الرواية تعد أهم و أبرز جنس من الأجناس الأدبية ، فإنها تبنت و غرفت من ينبوع التراث ، و جعلته من أهم الركائز التي تبني عليها و ذلك لأنها ترى في التراث الواقع و القرب من الفرد و ربطه بماضيه و تراثه ، كما يرى الروائيون في التراث الشعبي الترجمة الحقيقية لشعورهم الداخلي المعبر عن احتكاكهم و تأثرهم بما يحيط أوطانهم ، و هذا ما نلحمه خاصة لدى الروائيين الجزائريين ، الذين أولوا اهتماما كبيرا بجانب التراث ، و عبروا عن مدى تألمهم و حزنهم لما يصيب وطنهم ، و دعوا إلى ضرورة التحمل و حب الحياة و التمسك بالماضي ، و الخوض نحو الأمام من أجل بقاء الهوية الجزائرية .

---

(1)– – بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية - سلسلة الإبداع الأدبي- الجزائر 2000 ، ص 12 .

و من بين هؤلاء الروائيين نجد الروائي الذي وصل صداه إلى العالمية ، الدكتور " واسيني الأعرج " الذي سار على نهج الواقع الجزائري منذ الثمانينات يلاحق محنه السياسة و الاجتماعية نتيجة الأوضاع في الجزائر ، و كل هذا لم يغفل " واسيني الأعرج" عنها، فبررت أعماله المتجددة في أسلوبها و لغتها و تشكيلها و اختلاف نسيجها دون أن ينقطع عن قضايا وطنه ، فكانت بذلك ذاكرة المحنة لدى " واسيني " جزءا من ذاكرة شعبه يسعى جاهدا إلى تسجيلها ، و هذا ما أكسب تجربته الروائية خصوصية واضحة في زحمة النصوص المنشورة داخل الجزائر و خارجها . [1] " فواسيني الأعرج" تحدى الواقع الجزائري عن طريق كتاباته المتعددة و الكثيرة .

- **نبذة عن حياة واسيني الأعرج :**

هو قامة في عالم الفكر و الأدب ، و من ضمن الأسماء التي أسست لحضور جدي و متميز في المشهد الثقافي الجزائري و العربي ، و حتى العالمي من خلال إحداثية الكتابة الروائية عنده التي تبنى على أساس الارتباط بالواقع المعيشي .

1- مولده و نشأتـــه : [2]

واسيني الأعرج من مواليد 1954 بقرية سيدي بوجنان ولاية تلمسان ، جامعي و روائي يشغل منصب أستاذ كرسي بجامعتي الجزائر المركزية و السربون الجديدة ، يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي تنتمي أعماله الروائية إلى المدرسة التجريبية التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما عن التجديد و الديناميكية داخل اللغة التي ليست معطى جاهزا و لكنها بحث دائم و مستمر.

لم يتوقف عن الكتابة منذ نصه الروائي الأول " وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر" ، الذي نشر لأول مرة في دمشق سنة 1981 ، و أثار اهتماما نقديا كبيرا قبل أن يصدر ببيروت روايته المعروفة" نوار اللوز" التي تدرس اليوم في العديد من الجامعات العربية .

ترجمت بعض أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها : الألمانية ، الإيطالية ،الإنجليزية ، الإسبانية .

---

(1)– العربي الطائر ، مقالة استراتيجية التناص في العمل الروائي ، اكتوبر 2009 ينظر البريد الالكتروني :

http:// www.lissaniat .ret /vieastopic .php ? p : 78678 sid

(2)– واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص : 03 .

2- مؤلفاتـــه : [1]

لقد وضع " واسيني الأعرج " اسمه في عالم الرواية ،و استطاع أن يعزز حضوره و يفرض وجوده ضمن عالم أهم الروائيين ، فقد تعددت و اختلفت عناوين رواياته – مؤلفاته – و هذا التنوع راجع إلى قدرته الإبداعية ، و من أهمها نجد :

- وقع الأحذية الخشبية " بيروت 1981".
- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش " دمشق 1982 " .
- نوار اللوز " بيروت 1983 " .
- مصرع أحلام مريم الوديعة " بيروت 1984 " .
- مرايا الضرير " فرنسا 1998 " .
- ضمير الغائب " دمشق 1990 "
- حارسة الظلال " ألمانيا 1999 .
- رمل الماية = فاجعة الليلة السابعة بعد الألف " دمشق 1993 " .
- سيدة المقام " ألمانيا 1995 "
- ذاكرة الماء " ألمانيا 1997 " .

3- أوسمة نالها " واسيني الأعرج " من خلال رواياته : [2]

لقد حاز الروائي الجزائري " واسيني الأعرج " على عدة جوائز و أوسمة تقديرية نالها بجدارة عن روائع كتاباته الروائية ، فقد حصل في سنة 1989 على الجائزة التقديرية من فخامة رئيس الجمهورية .

- و في سنة 1997 اختيرت روايته " حارسة الظلال" (دون كيشوت في الجزائر) ضمن أفضل خمس روايات صدرت في فرنسا ، و نشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية .
- و في سنة 2001 حاز على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله الروائية .

(1)– عبد الله أبو هيف ، الإبداع السردي الجزائري ، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر 2007 ، ص 188

(2) – ماجد المدحجي ، مجلة الحوار المتمدن ، قراءات في عالم الكتب و المطبوعات ، العدد 1201 ، ماي 2005، ينظر الموقع الالكتروني : www.ahewar.org/showart.aspaid م :37551

- و اختير في سنة 2005 كواحد من ضمن ست روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث .
- كذلك في 2006 حصل على جائزة المكتبيين على رواية الأمير .
- أما في سنة 2007 حاز على جائزة الأدب – الشيخ زايد- على رواية الأمير أيضا .
- و في سنة 2008 حصل على جائزة الكتاب الذهبي في معرض الكتاب الدولي على روايته كريما توريوم (سوناتا لأشباح القدس) .
- و سنة 2009 قام معهد اللغة العربية و آدابها بالجزائر العاصمة بتكريم الأستاذ الدكتور الروائي المتميز" واسيني الأعرج " بتنظيم ورشة أدبية خاصة تتناول أعماله الروائية .

بالفعل فكل هذه الأوسمة التي نالها " واسيني الأعرج " إن دلت على شئ فإنها تدل – دون شك – على ذلك التميز الذي حققه من خلال كتاباته الروائية التي وصل صداها إلى العالمية .

4- أسلوبـــه الروائي: [1]

إن المتصفح لروايات " واسيني الأعرج" لا يمكنه العبور عليها دون أن يستوقفك ذلك البناء الروائي من الأسلوب و اللغة ، وهذا ما جعل " واسيني" يعتبر من أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه ، فقد وضع لنفسه مكانة رفيعة وصل صداها إلى ربوع العالم و ليس الوطن العربي فحسب .

لقد كان أسلوبه شيق يعتمد فيه على الرمز ، و كانت لديه قدرة إبداعية على استنطاق الأحداث ، مع استخدامه للغة متقنة التي بالرغم من سلالتها إلا أنها لا تفقد أبدا بريقها الذي يولج داخل كتاباته الروائية ، كما تميز كذلك أسلوبه بالتنوع و البحث دائما عن الجديد فهو – دون شك – ابن المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث على سبل تعبيرية مميزة من خلال اللغة و تقنياتها ، فاللغة بالنسبة لهذه المدرسة بحث دائم و مستمر ، أي لا توجد جاهزة و تبحث فقط على استهلاكها .

كذلك ما يميز " واسيني الأعرج " و جعله كاتب روائي محترف بحق ، أنه كان ينوع في التشكيل الفني في رواياته ، لم يعتمد على نمط واحد بل على العكس كان يقوم بالتجريب في الكتابة الجديدة و لا يخشى المغامرة في ذلك خصوصا على صعيد بناء الرواية و لغتها .

---

(1) – ماجد المدحجي ، مجلة الحوار المتمدن ، قراءات في عالم الكتب و المطبوعات ، العدد 1201 ، ماي 2005. ينظر الموقع الالكتروني : www.ahewar.org/showart.aspaid م :37551

و هذا ما نلاحظه في روايته " فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" حيث لم يتحدث فيها عن موقع ترديد التاريخ و استعادة النص ، و لكن من هاجس الرغبة في استرجاع التقاليد السردية الضائعة و فهم نظمها الداخلية التي صنعت المخيلة العربية في غناها و عظمة انفتاحها ، أي أنه غير المنحى تماما .

أما في مجموعة أخرى من أعماله ك "سيدة المقام " و " حارسة الظلال" و " ذاكرة الماء " يقدم " واسيني الأعرج " أسلوب يحكي فيه بطريقة مندفعة و جارحة ، و اختار الجمل العالية للذين خربوا الوطن – الجزائر- من قتلة و فاسدين و رجال مخابرات عن طريق مجموعة من الشخصيات التي وظفها لذلك .

كما أنه لم يتردد أبدا باندفاعه الشخصي نحو أحزان بلاده و مآسيها فغامر بكل حريته الشخصية و بمصير أبطال رواياته .

و هذا ما عرفناه طبعا عن " واسيني الأعرج " الذي يقبض الجمر بيده و هو مشتعل دون خوف أو تردد ، فهو ابن بلده الجزائر .

إجمالا فـــ"واسيني الأعرج " بحق يستحق لقب أسطورة الجزائر ، لأنه صاحب هوية فريدة من نوعها خاصة في الرواية العربية فهو لا يشبه غيره ، كما أنه يمتلك قدرة عالية في جلب و اصطياد القارئ رغما عنه في تلك الروايات التي تلفت الانتباه و تحب المتابعة ، و تأخذ القارئ في متاهاتها بحثا عن معرفة النهاية .

مقدمـــــة الفصل الأول:

مما لا شك فيه ، أن التراث الشعبي يساهم بشكل كبير في الصناعة الثقافية للأفراد و الجماعات ، و يبقيها كائنة مستبصرة ، تتعالق و تتعايش فيما بينها رغم ما يمويه العالم الإنساني من تحولات تقنية و رقمية جارفة ، و برمجيات الكترونية زاحفة ، فقد أبقي المجتمع المحلي على وجوده بتمسكه بطقوسه و عاداته و تقاليده الشعبية و بأشعاره و ألحانه الموسيقية أبا عن جد .

كما أن التراث الشعبي يتعلق بتاريخية الإنسان في تجارب ماضية ، و يعيشه في حاضره ، و يمهد من خلاله لمستقبله ، و معلوم أن الموروث الشعبي موروث متجدر في تراثنا المعرفي ، و ذلك من خلال كل ما يصلنا من حكايات الآباء و أخبارهم و أشعارهم و الشعر هو لسانهم الثقافي ، إضافة إلى فن السرد الحكائي الذي من خلاله نشاهد أماكنهم و نتعرف على ثقافتهم و خبراتهم

إن التراث الشعبي حصيلة فردية و جماعية تعبر عن حياة الأمة بجميع شرائحها في كافة مناطقها ، و يغطي باستمرار كل احتياجات الشعب اليومي ، و يبقى على الشكل و الثبات من جيل إلى جيل ، و محافظا على المضمون و يساعد على نقل الخطاب الفلسفي و الروحي الموغل في القدم .

إذن ، فالتراث الشعبي يشكل لكل أمة الوعاء الذي يحوي كل مكونات وعيها التاريخي من فكر وعلم وأدب وفلسفة وفنون ، وهو بذلك يشكل هوية الأمة ووجدانها بل ويشكل إلى حد بعيد قوام شخصيتها وعنوان بقائها في وجه كل تحديات الغزو الثقافي والهيمنة الحضارية .

I/ ماهية التـــــــراث :

01/ تعريف التراث الشعبي :

أ/لغـــة : [1] "التراث ، ورث ، الوارث " صفة من صفات الله عزو وجل ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم ـــ والله سبحانه وتعالى يرث الأرض وما عليها ، وقد جاء ذلك في ذكره تعالى " أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس " .

قال ثعلب : يقال إنه ليس في الأرض إنسانا إلا وله منزل في الجنة .

وأبو زيد حول معنى التراث : ورث فلان أباه يرثه وارثه " وميراثا ".

وتقول أورثه الشيء أبوه ، وهم ورثة فلان ، وورثه توريثا أي أدخله في ماله وارثيه ، وتوارثوه كابرا عن كابر .

أما أبن الأعرابي : الورث والرث والإرث والوراث والتراث واحد.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله جل جلاله " وتأكلون التراث أكلا لما، وتحبون المال حبا جما"[2].

والمقصود بالتراث هنا هو ما تركه الميت وراءه .

ب/ إصطلاحـــــا:

تباينت واختلفت التعريفات حول حقيقة وماهية التراث الشعبي ، إذ نجد في تعريف " عرفه مجدي وهبه" أن التراث هو " ما خلفه لنا السلف من آثار علمية وفنية وأدبية ، مما يعد نفيسا بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه [3]، بمعنى أن التراث هو ما تركه لنا السالفون في مختلف الميادين والفنون لأنه يمثل في العصر الراهن الهوية الشخصية للأمة.

كذلك هناك من عرفه على أنه " كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة [4] وهذا يعني بأن التراث

---

(1)- ابن منظور ، لسان العرب ، ضبط نصه وعلي حواشيه د. خالد رشيد القاضي ، دار صبح إد يسوفت بيروت - لبنان ، ط1 ، الدار البيضاء ،ج 15 ، 10: 257 .

(2)- القرآن الكريم ، الآية 19 من سورة الفجر ، ص : 593

(3)- ابراهيم منصور محمد الياسين ، استحياء التراث في الشعر الأندالسي- عصر الطوائف و المرابطين- عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،اربد ، ط1 الأردن 2006 ، ص 5 ص 6

(4)-المرجع نفسه ص : 6

هو الجسر الرابط بين الماضي والحاضر ، وأن كل ما يوجد داخل الحضارة السابقة من تراث فهو أصلا في الماضي ، و لم نقم إلا باستحضاره فقط.

في حين هنالك من أعتبر أن التراث هو "ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد ، والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية ، بما فيها من عادات وتقاليد سواء أكانت هذه القيم مدونة في كتب التراث أو مبثوثة بين سطورها أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن ، [1] أي أن التراث هو متوارث عبر الأجيال منذ زمن بعيد ، و قد أتى أساسا عن أجدادنا القدماء من قيم وعادات و تقاليد كانت موجودة في وقتهم ، وهي موجودة في كل زمان و مكان سواء مدونة أو منقولة شفاهة .

و الملاحظ في التعريفات التي تناولناها أنه لا يوجد اختلافا حول معنى التراث ، فالجميع اتفقوا حول حقيقة واحدة ، وهي أن التراث هو كل ما تركه السلفاء للخلفاء في مختلف المجالات و الفنون ، و كذلك من عادات و تقاليد و أعراف ، أما الاختلاف الوحيد الموجود فهو في الشكل الظاهري الخاص بتركيب الجمل و اختلاف الألفاظ فقط .

2 / خصائص التراث الشعبي:

حاز التراث الشعبي ، -كغيره من المصطلحات الهامة و التي تنسج خاصة في مجال الرواية المعاصرة -على خصائص ميزته عن باقي المصطلحات الأخرى و من بينها نجد : [2]

- مجهولية المؤلف لأن القاعدة العامة الخاصة في مجال البحث حول التراث ترى بأنه ما هو معلوم مؤلفه لا يدخل في نطاقه ، أي أن التراث هو ملك للجميع ، و يتداوله الناس جيل عن جيل دون أن يسند إلى شخص بعينه أو يكون له مؤلف خاص ، فالتراث الشعبي لا مؤلف له .
- التعبير عن الوجدان الجمالي للأمة في عمقها التاريخي البعيد ، و هذا ما نلمسه في الحكايات و السير الشعبية ، أي أن التراث الشعبي لا يعبر عن وجدان فردي واحد بل أنه يزخر بتراث عميق ، عمق تاريخ الأمة بأكلمها،

---

(1) – أحسن تليلاني ، مخطوطة دكتورة العلوم في الأدب العربي الحديث ، توظيف التراث في المسرح الجزائري ، جامعة منتوري-قسنطينة 2010 ، ص 12

(2)– – بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي ، الجزائر2000 ، ص 11

فهو ضميرها الحي الذي يعبر عن أفراحها و أحزانها و كل ما يصيبها ، و من هنا تظهر خصائصه الفنية و الجمالية إزاء هذا التعبير .

- حدوث تغيرات على التراث الشعبي الشفوي إثر انتقاله عبر الأجيال و العصور ، و هذا ما نلمحه في التمييز في الروايات من عصر إلى عصر ، و هذا يعني أن التغيرات التي تطرأ على التراث الشعبي عبر هذه الأحقاب الزمنية ، قد تضيف إليه أشياء ، كما قد تنقص منه أشياء محاولة إثرائه و من ثم تطبعه بميزة العصر لتقدمه إلى العصور القادمة ، و التي بدورها ستحدث تغيير و تقوم بصبغها بألوانها الخاصة .

ضف إلى ذلك أن التراث الشعبي الشفوي غير مسجل أو موثق ، و هذا يعني انتقاله عن طريق الكلام ، ومن طبيعة البشر أنهم إذا ما أرادوا نقل حكاية ما أو قصة ، أو أغنية إلى غير ذلك ، فإنهم يقومون بإحداث تغيرات و لو طفيفة عليها ، و يتركون لمساتهم الخاصة فيها .

- التراث الشعبي يختلف من أمة إلى أخرى ، و ذلك حسب طبيعة حضارتها و معتقداتها أي أن لكل أمة عادات معينة و تقاليد و أفكار خاصة تسير وفقها ، و تكون بمثابة الحيز الذي يعين في نطاق أفراد هذه الأمة ، كما أنه يعتبر بطاقة الهوية بالنسبة لأي أمة من الأمم فمثلا ما هو موجود بالدولة الجزائرية غير موجود في الدولة التونسية ، بالرغم من أنهما دولتين عربيتين و متجاورتين إلا أنه لكل دولة عادات معينة تنسج من خلالها ثوب خاص بها. [1]

03/ مظاهر التراث الشعبي :

و من بين مظاهر التراث الشعبي نجد :

أ /الحكايـــة الشعبيـــة : و هناك من يصطلح عليها اسم القصة الشعبية

لغـــــة [2]: كقولك حكيت فلان و حاكيته ، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه ، وحكيت عنه الحديث حكاية ، و حكوت عنه حديثا في معين حكيته ، و في الحديث ما سترني أني حكيت إنسانا و أن لي كذا و كذا أي فعلت مثل فعله ، يقال حكاه و حاكاه و أكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة ، و المحاكاة : المشابهة .

---

(1) – بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي ،الجزائر 2000، ص 12

(2) – ابن منظور ، لسان العرب ، ضبط نصه وعلي حواشيه د. خالد رشيد القاضي ، دار صبح إد يسوفت بيروت – لبنان ، ط1 ، الدار البيضاء 2006 ،ج 3 ، ص: 257

اصطلاحا : الحكاية في تعريف عبد الحميد يونس هي " محاكاة الواقع نفسي يقتنع أصحابه بحدوثه ، وعلى هذا الأساس تكون الحكاية استرجاعا للواقع ، أو ما يتصور أنه الواقع بواسطة الكلمة ، [1] بمعنى أن الحكاية الشعبية هي حادثة جرت أو يخيل أنها وقعت ، فيتداولها الناس فيما بينهم ، و يقومون باسترجاعها للحديث عنها تصوير الواقع من خلالها

و إذا ما لحظنا تعريف عبد الحميد يونس نجد بأن الحكاية الشعبية ليست دائما نتاج عن حقيقة وقعت ، بل يمكن أن تكون خرافة تدوالها الناس ، فالحكاية الخرافية الشعبية هي حكايات بدائية تكونت من نبع الشعوب البدائية و من تصوراتهم ، و انتقلت بعد ذلك إلى يد القاص الشعبي الذي قام بتشكيلها و صياغتها فنيا ، كما أن الحكاية الخرافية "تعد الأدب المعبر عن الرغبة الإنسانية الملحة في تغيير وجود الإنسان الداخلي بل تغيير الوجود كله" [2] ، أي أنها نابعة من نسيج الخيال الذي يحاول مسح الحقيقة و الهروب إلى العالم اللاواقعي الذي يحقق الأحلام الصعبة المنال.

ب / المثل الشعبي :

لغـــة [3] : ورد في لسان العرب عن المثل ما يلي : مثل كلمة تسوية ، يقال هذا مثله ، كما يقال يشبه و شبهه .

قال ابن بري : الفرق بين المماثلة و المساواة ، أن المساواة تكون بين مختلفين في الجنس و المتفقين ، تقول كنحوه و فقهه كفقهه و لونه كلونه و طعمه كطعمه ، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق ، فمعناه انه يسد مسده و إذا قيل هو مثله في كذا مساوله في جهة دون جهة ، و العرب تقول هو مثيل هذا و هم أميثالهم ، و المثل هو الشبه .

اصطلاحا : تعددت التعريفات حول مصطلح المثل الشعبي لدى العديد من الباحثين و الدارسين المهتمين به ، فهناك من عرف المثل بأنه " تعبير عن موقف يتكرر في حياة الجماعة" [4] ، أي أن يحدث أمر ما أو تصير حادثة مشابهة لحادثة معينة قد ضرب بها المثل ، فيتكرر بذلك نفس الموقف و نستحضر ذلك المثل .

---

(1) – عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1968 ، ص 06 .

(2) – راضية عداد مخطوطة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري ، الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي (النشر خاصة) ، جامعة منتوري – قسنطينة 2006 ، ص 26 .

(3)– ابن منطور ، لسان العرب ، ضبط نصه و على حواشيه د. خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إديسوفت بيروت – لبنان ، ط 1 ، الدار البيضاء 2006 ، ج 3 ، ص 257

(4)– أحمد فضيل الشريف في رياض الأدب الشعبي الجزائري ، عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007 ، ص 12

أما " أحمد فضيل الشريف " فيرى أن الأمثال تعبير عن ضمير الفرد ، و عن اهتزازات هذا الضمير ، و عن حركته أيا كان اتجاه هذه الحركة و طبيعتها ، و هي كذلك تعبير عن ضمير الجماعة و عن اهتزازاه وثبوته و حركته ، إنها تقطير مكثف لا للأحداث و الوقائع فحسب و لكن للروح التي وراء الأحداث و الوقائع ، و لو وصلتنا الأمثال كاملة لأمة من الأمم لكانت أقرب الموارد إلى اكتشاف حقيقة هذه الأمة " [1] أي أن المثل هو مرآة عاكسة – إن صح القول – لكل أمة من الأمم .

ضف إلى ذلك هناك من عرفه على أنه " تقطير لقصة أو حكاية ، و لا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونه " [2] ، أي أن المثل يكون في قصة معينة و نجده يتكرر في قصة أخرى تستلزم المعنى نفسه ، و المثل كذلك هو تعيير لتجربة معيشية سابقة ، و نستدعيه لدى حدوث قصة مماثلة للقصة الأصل .

ج/النكتة الشعبية :

لغة [3]: نكت الأرض بقضيبه أو بإصبعه ، فأقبل ينكت الأرض ، ومر الفرس ينكت الأرض في عدوه ، و نكت العظم : أخرج مخه و نكت كنانته : نكبها. وطعنه فنكته على رأسه :ألقاه .و بالبعير ناكت : حاز ينكت بمرفقه خد كركرته. في العين نكته: بياض أو حمرة و كل نقطة من بياض في سواد أو سواد في بياض : نكته. نقول : هو كالنكتة البيضاء في جلد الثور الأسود ، ومن المجاز جاء بنكته و بنكت في كلامه ، وقد نكت في قوله ، و رجل منكت و نكات و فلان نكات في الأعراض : طعان.

اصطلاحا :تعد النكتة شكل من أشكال التعبير المجدية و الهادفة ، " فالنكتة هي موقف و رأي ساخر من موضوع ما ، و بالتالي تريد نقل هذا الموقف ، و هذه الرأي إلى الآخرين و إحساسهم به من أجل كشفه و معرفة كنهه ، و ما يحتويه من عيوب و مفارقات اجتماعية مختلفة في ثوب خفيف ترفيهي وفكاهي " [4] ، و هذا يعني أن النكتة نقد ساخر تعبر عن مواقف نعيشها في حياتنا اليومية ، فنقوم بإيصالها بطريقة أخرى و ذلك بترجمتها في عبارات يكون لها

---

(1)- أحمد فضيل الشريف في رياض الأدب الشعبي الجزائري ، عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 ، ص 12

(2)- التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائري1990 ، ص : 155

(3)- الزمخشري : أساس البلاغة: المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، سنة 2003 ، ص : 876 .

(4)- راضية عداد ، مخطوطة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري ، الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي (النشر خاصة) ، جامعة منتوري -قسنطينة 2006 ، ص123 .

صدى اكبر من أن نصفها بالكلام العادي ، و النكتة أيضا هي " خبر قصير في شكل حكاية ، أو لفظ يثير الضحك" [1] ، أي أن النكتة تتراوح بين الطول و القصر و ذلك حسب الحاجة للتعبير عن الموقف المراد ، لكن المهم هو إثارة الضحك ، و إذا لم يحقق ذلك فلا معنى له ، و يكون بذلك كأي كلام عادي .

د/الألغاز الشعبية :

لغـــة : [2]ألغز الكلام و ألغز فيه : عمى مراده و أضمره على خلاف ما أظهره و اللغيزى – بتشديد الغين – مثل اللغز و الياء ليست للتصغير أن ياء التصغير لا تكون رابعة . و اللغز : ما ألغز من كلام فشبه معناه .

و اللغز : الكلام الملبس ، و قد ألغز في كلامه يلغز إلغازا : إذا ورى فيه و عرض ليخفى.

اصطلاحا : "اللغز شكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة و الحكاية الخرافية ، كما أنه كان يساويهما في الانتشار ، فليس اللغز مجرد كلمات محيرة تطرح السؤال عن معناها بين الأصحاب في الأمسيات الجميلة ، و من ثم فإنه يتحتم علينا أن نبحثه بوصفه عملا أدبيا شعبيا أصيلا شأنه شأن الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى .[3]

و هذا يعني أن اللغز لا يمكن اعتباره فقط أحجية – كما يصطلح عليه البعض – ، بل هو عمل أدبي كباقي الأنواع الأدبية الأخرى .

كذلك فاللغز قديم قدم هذا الكون ، فقد كان الإنسان البدائي يحاول تفسيره و فك رموزه ، و يبحث عن حل هذه الألغاز ، وهذا ما ذهب ليه " موريس بلومفيلد " حيث قال " أن اللغز نشأ مند قديم الزمان حيث كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به " [4]

---

(1)– راضية عداد ، مخطوطة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري ، الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي (النشر خاصة) ، جامعة منتوري– قسنطينة 2006 ، ص123

(2)– ابن منظور ، لسان العرب ، ضبط نصه و على حواشيه د.خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إديسوفت بيروت – لبنان. الطبعة 1 ، لدار البيضاء 2006 ، الجزء 12 ، ص 286 / 287

(3)– عبد الملك مرتاض ، الألغاز الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 ، ص 13 ، ص 14 .

(4)– المرجع نفسه : ص 14 .

م- الأغنية الشعبية :

لغـــــة [1] : قال الأزهري : فمن ذهب إلى الاستغناء فهو من الغنى مقصور ، و من ذهب به إلى التطريب فهو من الغناء الصوت ممدود . الأصمعي في المقصور و الممدود : الغني من المال المقصور ، ومن السماع الممدود ، وكل من رفع صوته ووالاه خصوته عند العرب غناء ، و الغناء بالفتح النفع ، و الغناء بالكسر من السماع .

اصطلاحا : تعد الأغنية الشعبية باب كبير من أبواب التراث الشعبي ، فهي تعتبر فن أصيل لارتباطها بحياة الإنسان الشعبي ، إذا ليس هناك مناسبة إلا و عبر عنها هذا الأخير بالأغاني التي تصور أفكاره و أحلامه و تطلعاته فالأغاني الشعبية " أغان فطرية لا أثر فيها لصفة متعمدة ، ارتجلها فرد مجهول من أفراد الشعب بطريقة بدائية لا كلفة فيها و لا تكليف.....و تناقلها الأبناء عن آبائهم ، و البنات عن أمهاتهن .... وترافق هذه الأغنيات صورة واضحة عن العادات و الخرافات و المعتقدات التي تتحلى بها تلك الشعوب " [2] و هذا يعني أن الأغنية الشعبية كانت تغنى على الفطرة و السليقة و لم تكن موجودة عن تكلف و تصنع ، و تناقلها الأبناء عن الأجداد ، وهذا لما تزخر به من عادات و تقاليد و معتقدات لدى كل أمة من الأمم .

و- الحكمة الشعبية :

لغة : [3]الحكمة : العدل ، و رجل حكيم : عدل حكيم ، وأحكم الأمر : أتقنه و أحكمته التجارب على المثل ، وهو من ذلك ، و يقال للرجل إذا كان حكيما : قد أحكمته التجارب .

اصطلاحا : الحكمة في تعريف البردوني [4] " نظرية معرفة ووليدة المراس الفني لأن اللغة التي تفوه بها منتزعة من رهافة اللغة الشعرية ، و من ثقابة النظر الفكري ، فالحكمة أدب و فكر و نظرية تجريبية و تجربة ثقابة نظر ، تتقولب في مقولة صغيرة ، و مع مميزات الحكمة الشعبية أنها ترافق العمر الإنساني مرحلة من بكاء الميلاد إلى حشرجة الموت " و هذا يعني أن الحكمة بالرغم من أنها تكون في أغلب الأحيان ، عبارة عن جمل قصيرة إلا أن معناها جد واسع أنها وليدة عن تجربة حقيقية لخصت في هذه المقولات القصيرة ، كما أنها ترافق الإنسان مدى حياته ، ومن جيل إلى جيل فالحكمة الشعبية التي يتداولها الناس فيما بينهم تستند على الأحوال المماثلة لظروف قولها ، وذلك للاسترشاد منها .

---

(1) - ابن منظور لسان العرب ضبط نصه و على حواشيه د . خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إديسونت بيروت-لبنان ، الطبعة 1 ، الدار البيضاء 2006 ، الجزء 10 ، ص 128 .

(2)- طلال حرب ، أولية النص ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 1 ، بيروت 1999، ص 162 .

(3)- المصدر السابق، ج3 ، ص256

(4) - البردوني ، فنون الأدب الشعبي في اليمن ، سنة 1981 ، ص : 165 .

ن/الحكاية الخرافية الشعبية :

لغة : [1] جاء في لسان العرب لا بن منظور "خرف "، الخرف بالتحريك : أي فساد العقل من الكبر ، وقد خرف الرجل : يخرف ، خرفا فهو خرف : فسد عقله من الكبر و الخرفة : الحديث المستملح من الكذب ، و قالوا حديث خرافة ، ذكر ابن الكلبي في قولهم " حديث خرافة " هو من عذرة أو جهينة – القصد خرافة – اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحدايث مما رأى يعجب منها الناس ، فكذبوه فجرى على ألسن الناس .

اصطلاحا : تعد الحكاية الخرافية الشعبية من أهم الأنواع الأدبية الشعبية انتشارا هذا لأن الناس و لحد الآن مازالوا يتداولونها في حيز جغرافي ضيق .

"فالحكاية الشعبية الخرافية هي أحدوثة يسردها راوية في جماعة من الملتقين و هو يحفظها مشافهة عن راوية آخر و لكنه يؤديها بلغته غير متقيد بألفاظ الحكاية و إن كان يتقيد بشخصياتها ومجمل بنائها العام " [2]، و هذا يعني أن الحكاية الشعبية الخرافية يتناقلها الناس فيما بينهم ، من شخص إلى آخر مع إحداث تغيير طفيف في الألفاظ و أسلوب الرواة ، و لكن بالرغم من وجود تباين بين الحكايات إلا أن المغزى هو نفسه .

و الحكاية الشعبية الخرافية التي تنحدر من أصول شعبية تعتبر وعاء فني يحتوي على آلام و آمال و طموحات الشعب ، كما أنها شكل أدبي شفوي تتناقله و تتوارثه الأجيال عن طريق المشافهة .

---

(1) – ابن منظور لسان العرب ضبط نصه و على حواشيه د .خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إبديسوفت بيروت ط1 الدار البيضاء 2006 ، ج 4 ، ص : 65

(2)– راضية عداد ، مخطوطة ماجستير في الأدب الشعبي الجزائري ، الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي (النشر خاصة) جامعة منتوري قسنطينة 2006 ، ص33

هـــ/ الأسطورة :

لغـــــــة : [1] الأسطورة لغة واحدة الأساطير ، و هي ما سطره الأولون ، و الأساطير الأباطيل ، و أحاديث لا نظام لها ، و يقولون للرجل إذا أخطأ ، أسطر فلان اليوم و الإسطار الإخطاء ، وسطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل و نمقها.

اصطلاحا : مثل ما هو معروف ، أن الأسطورة تعد شكل أدبي شعبي قديم ، ظهر منذ العصر البدائي ، أين كان الإنسان يحاول في ذلك العصر أن يفسر مجموع الظواهر التي أمامه و يعجز عن معرفة سبب حدوثها و وجودها ، وهذا طبعا انطلاقا من المخيلة الواسعة التي يمتلكها ، وهذا ما يراه "طلال حرب " من خلال تعريفه لماهية الأسطورة حيث قال : " هي محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له ، إنها نتاج و ليد الخيال ، ولكنها لا تخلو من منطق معين و من فلسفة أولية تطور عنها العلم و الفلسفة فيما بعد " [2]كذلك ظهر تعريف آخر يرى بأن الأسطورة هي " في معناها ليست أكثر من قصة خيالية بعيدة كل البعد عن منطق العلاقات الواقعية بين الأشياء ، كما أن شخوضها لا ينتمون إلى عالم الأثرياء من الناس و إنما هم شواذ خارجون على طبيعة البشر" [3]و هذا يعني أن الأسطورة ، قصة خيالية تنتج من طرف ناس غير طبيعيين و مخالفين للبشر .

---

(1) – ابن منظور لسان العرب ضبط نصه و على حواشيه د .خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إبديسوفت بيروت–لبنان ، ط1 الدار البيضاء ،ج 4 ، ص 363

(2)– طلال حرب ، أولية النص ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 1 ، بيروت 1999 ، ص 93 .

(3)– شفيع السيد ، اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، ط 3 ، القاهرة 1997 ، ص 55 .

II - حضور التراث الشعبي في الرواية المعاصرة.

1- في الرواية العربية المعاصرة :

إذا كان الشعر ديوان العرب قديما ، فإنها الرواية تعد ديوانهم في عصرنا هذا ، باعتبارها فنا نثريا يتضمن إما سرد للماضي ،أو تصويرا للواقع الذي يعيشه الإنسان وسط مجتمعه ، لكن هذا لا يعني أنها سيرة لشخص بعينه حتى و إن وجد تقارب بينهما و بين الواقع ، فما الرواية إلا نسج من خيال الكاتب ممزوجا مع واقعه .

لقد كان تاريخ الرواية العربية يشير بوضوح إلا أن فن الرواية فن مستحدث في الثقافة العربية التي ظلت حتى أوساط القرن 19 ثقافة تقليدية ، تضم في سلسلتها الأجناس الأدبية و الثقافية التقليدية ، كالشعر و المقامة و الرسائل و الخطب و البلاغة ، .... فإن الباحث لا يجد مفرا للتأريخ للرواية العربية من زاوية علاقتها بالرواية الغربية .

دخلت الرواية الغربية إلى سلسلة الثقافة العربية عن طريق الترجمة ، و قد أدت عناية المترجمين ، و من ثمة المؤلفين الأوائل بذوق القراء و الخضوع لما هو سائد في الثقافة العربية آنذاك إلى تلوين الروايات المترجمة و المؤلفة بألوان تراثية كانت تهيمن على الذوق الجمالي و الفكري لجمهور القراء الذين جلهم من أنصاف المثقفين ، و قد تجلت هذه الألوان التراثية في شكل الرواية و مضمونها ، و كان للمقامات تأثيرا واضحا في الروايات المترجمة و المؤلفة من الناحيتين الشكلية و الأسلوبية ، فخضعت لغة الرواية للسجع و كثرة المترادفات و المفردات الصعبة .

و كان لألف ليلة و ليلة " تأثير واضح في المضمون ، فبرزت في النص الروائي معالم بطل الحكايات ، وخضعت الأحداث للمصادفات و العجائب و الأمور الخارقة للعادة .

و لكن لا يجب أن يدفعنا وجود المؤثرات التراثية في الروايات العربية الأولى إلى القول أن عملية تأصيل الرواية العربية تم مبكرا و منذ ذخول الرواية إلى الثقافة العربية " فوجود مثل هذه الألوان التراثية كامن قبيل سيطرة الشكل السردي القديم الذي اتخذه رجالات عصر النهضة قالبا فنيا للتعبير عن الجديد الذي أحدثه اتصال المجتمع العربي بالغربي ، و هنا لا ننسى أن نذكر تلخيص " الابريز في تلخيص باريز " لـــ " رفاعة الطهطاوي " و" علم الدين" لـــ علي مبارك" [1]

و قد استطاعت الرواية العربية خلال فترة قصيرة لا تكاد تتجاوز القرن أن تثبت و جودها ، و تنزع اعتراف الثقافة الرسمية بها بعد مواجهة ضارية و نضال مرير "فرفضت الهيمنة الغربية ، كما استطاعت الخروج من تقليد الشكل التراثي القديم ، و أعادت توظيفه و الاستفادة منه . [2]

---

(1)- محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2002 ، نشر في الموقع الالكتروني مارس 2009 . الموقع الالكتروني http : //www.awu – dam.org

(2)- عبد الحميد بورايو ، القصص الشعبية في منطقة بسكرة ، الجزائر عاصمة الثقافةالعربية ، 2007 ، ص 32 .

إن توظيف الروائيين للتراث بأنواعه المتعددة يعد قياسا لتطور الفن الروائي ، و دليلا على الجهود الكبيرة التي بذلها الروائيين لتأصيل فن الرواية ، و مؤشرا على تخلي الرواية العربية عن تقليد الرواية الغربية التي صبغت بصباغها مرحلة طويلة من تاريخ الرواية العربية ، و دليلا على ذلك رواية " زينب " لـــ " محمد حسين الهيكل " و التي أرخ لها معظم الباحثين على أنها أول رواية عربية تظهر بصورة فنية في الأدب العربي الحديث ، و الملاحظ أن هذه الرواية تعج بالمؤشرات التراثية إلى جانب كونها خطوة هامة على طرق الرواية الفنية بسبب تخلصها من كثير من عيوب الروايات السابقة ، و اقترابها من تقنيات الرواية المعاصرة نتيجة تأثرها بالرواية الغربية فإن استمرا المؤشرات التراثية يعكس التمزق الحاد الذي شهده المجتمع العربي بين الشرق و الغرب ، و ما وجود هذه المؤشرات إلى جانب المؤشرات المعاصرة في الرواية إلا مؤشرا على محاولة الروائيين مواجهة الآخر عن طريق التمسك بالتراث .

كما أن رواية " زينب " التي كتبها الدكتور "محمد حسين الهيكل " في أثناء وجوده في فرنسا ، و نشرها سنة 1912 الميلاد الحقيقي للرواية العربية فقد انتقلت بها من طور الترقية و التسلية أو التهذيب الخلقي إلى التعبير عن تجربة إنسانية مصرية صميمة ، و من أسلوب المقامة الذي يعتمد على التأنق و الصنعة إلى النثر العادي الذي يخلو من التكلف .

كما يرد الباحثون نضج هذه الرواية النسبي إلى الثقافة الأوربية التي نهل منها الدكتور " هيكل " في أثناء إقامته بفرنسا ، و إلى اقترابه الشديد في الوقت نفسه من واقع الحياة المصرية و تعبيرا ينم إحساسه بها و تفاعله معها[1] .

لقد أدى عدم الانتباه إلى التراث القصصي و السردي ، و عدم التأسيس عليه إلى شعور بعض الكتاب العرب بالنقص اتجاه ما في الثقافة الغربية من فن روائي متطور ، و الاعتراف بتفوق الرواية الغربية ، وقد ساعد ، كون الجيل الثاني من الكتاب متقفين اتصلوا بالثقافة الأوربية عن طريق اتقان اللغة الأجنبية و التمكن من ترجمتها ، و إما عن طريق التعلم في الغرب الذي ساعد في ازدياد حدة المؤشرات الغربية في الرواية العربية التي قطعت صلتها نهائيا بالشكل القصصي القديم و التحقت بالرواية الغربية "كرواية " نهم " للروائي السوري " شكيب الجابري " و هي رواية غربية البيئة و الشخصيات و المحتوى [2] .

---

(1)- شفيع السيد ، اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، ط 3 ، القاهرة 1997 ، ص 13 .

(2)-حسام الخطيب، روايات تحت المجهر ،اتحاد الكتاب العرب دمشق 1983 . الموقع الالكتروني : http : //www.awu – dam.org

و مما لا شك فيه ، أن توجه الروائيين إلى الثقافة الغربية ، على الرغم من أنه حرم الرواية العربية فرصة التأصيل و الانتماء و جعلها تغترب في الشكل الروائي الغربي ساهم كغيره في تطور الرواية العربية ، و بلوغها مرحلة متقدمة بفضل امتلاكها لتقنيات الرواية الغربية ، و لكن هذا لم يدم طويلا ، حيث رفضت الرواية العربية في العقود الأخيرة تبعيتها للرواية الغربية ، فكفت عن تقليدها ، و بدأت تبحث عن نفسها و أصلها و هويتها ، و قد حققت الرواية العربية هذه النقلة الهامة عن طريق تفطنها إلى أصالتها ، وذلك بالعودة إلى التراث القصصي و السردي و الإفادة منه في البنية العامة ، وتصوير الشخصيات و اللغة و السرد ، بالإضافة إلى الخوض في البيئة المحلية ، و توظيف التراث الشعبي من حكايات و أغان و أشعار و أمثال ، ..... يضاف إلى ذلك مساهمة الرواية العربية في إعادة قراءة التراث ، و رصدها للمواقف المتعددة منه .

2/ في الرواية الجزائرية المعاصرة:

عرف الإنتاج الروائي الجزائري خلال العقدين الأخريين غزارة كبيرة إذ أقبل الكثير من الروائيين على كتابة هذا الجنس الأدبي ، وكان الجيل الذي عايش هذه المرحلة شاهدا على تسلسل وقائع و أحداث تاريخية شكلت الخلفية التي نسجت من صميمها حبكة القصص ، كما صدرت عن موجة العنف –خاصة في فترة التسعينيات– مجموعة من الروايات شغلت الحقل الأدبي الجزائري حيث حاول أصحابها نقل ما عاينوه من ممارسات مرعبة و فضائع يعجز اللسان التعبير عنها ، و نتيجة ذلك أصبح الروائي يعتمد في نسج نصوصه الروائية على أشكال تجنيسية و أساليب و أنساق سردية ، وفنون ،و كتابة ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الاجتماعي و التاريخي التي يتحكم فيها و يقوم على بلورتها و إعطائها معنى محدد ، كما أننا نجد أن هذه النصوص تحمل صلابتها الإبداعية في اعتمادها على تقنيات روائية تستلهم مضمونها و أشكالها من السياق المحلي و التراث .

و على الرغم من حداثة الرواية الجزائرية ، نتيجة لأسباب تاريخية فإنها حققت في العقود الأخيرة تراكما كميا لا يستهان به ، و تغييرا ملحوظا في الشكل و الأسلوب و القوالب الفنية ، كما عرفت عدة مراحل فنية تجريبية صقلت الروائيين و أهلتهم لأن يبدعوا أعمالا روائية غاية في الجدة و الإبداع ، فقد كان الروائيين يطلعون على النماذج الغربية و يؤخذونها كتجارب لهم في الرواية الجديدة خاصة تلك التقنيات السردية التي تسمح بالانفتاح على العوالم التخيلية و مراجعها الواقعية ، كما تتيح للكاتب أن يجسد رؤية العالم و انزياحاته السردية ، و التي كان أهمها اتخاذ التراث مرآة الحداثة و الخلق و التجاوز الإبداعي.

إن الرواية الجديدة ليست مدرسة تخضع لفلسفة معينة ، وهي كذلك ليست نزعة فردية تبرز في الحياة الأدبية ثم تتلاشى ، و لكنها كانت طليعة جيل جديد من الروائيين الذين يتطلعون إلى انجازات فنية جديدة تتمتع بصفة الحضور المتميز ، هذا الجيل الذي جاء بأدوات جديدة تستوعب تجاربهم الآنية ، و من بين هذه الأدوات نجد التراث الشعبي .

أما إذا تحدثنا عن استلهام التراث في الرواية الجزائرية في العصر الحديث خاصة فإنها يمكننا القول بأنه قد افتك المكانة العربية بالدرجة الأولى و العالمية بالدرجة الثانية ، فقد أصبح لدينا روائيين جزائريين أوصلوا الرواية الجزائرية الى ابعد الحدود ، و نذكر على سبيل المثال بعض الروائيين الذين وصل صداهم إلى العالمية ، و من بينهم نجد الروائي الجزائري الكبير " عبد الحميد ابن هدوقة " و خاصة روايته " ريح الجنون " فقد اعتبرها البعض " أنها أول عمل روائي جزائري يتوافر على شروط الفن الروائي الأساسية ، و أن "عبد الحميد ابن هدوقة" يعتبر من أوائل الأدباء الدين التفوا فنيا إلى الحياة التي تحياها الأسرة الجزائرية في الريف البعيد [1]فراوية "ريح الجنون " تحكي عن الريف الجزائري و طبيعة العادات و التقاليد فيه ، و قد وظف فيها عناصر التراث الشعبي بشكل واضح ، فمثلا وظف المثل الشعبي كقوله " "ناكلوا في القوت ونستنا و الموت "[2]و الحكمة كقوله " للموت يوم و للحياة أيام " [3]، كما اعتمد بعض العناصر المادية الشعبية كـــ " القصبة " و هي الاسم الشعبي للناي. كما نجد كذلك الروائي الذي وضع لنفسه اسما بارزا في عالم الإبداع الروائي المعاصر في الجزائر و حتى المستوى العالمي ، وهو الروائي الغني عن التعريف في الساحة الأدبية " رشيد بوجدرة " صاحب راوية "معركة الزقاق " [4] التي استحضر فيها شخصيات تراثية من التراث العربي و قام بإسقاطها على شخصياته الروائية بأسماء شعبية جزائرية و من بين هذه الشخصيات التي قام باستلهامها شخصية " طارق بن زياد " صاحب الشخصية المملوء بالمرونة و الشجاعة و الفحولة .

---

(1)- بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي ، الجزائر 2000 ، ص 23

(2)- عبد الحميد ابن هدوقة ، ريح الجنون ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 2 ، الجزائر 1975 ، ص 17.

(3)- المصدر نفسه ، ص 61.

(4)- المرجع السابق ، ص 106.

وكغيره من الروائيين الجزائريين الذين حققوا نجاحا كبيرا في مجال الفن الإبداع الروائي أسطورة الجزائر"الطاهر وطار " ، وهو طليعة الروائيين الذين يكتبون أعمالهم باللغة العربية ، فقد قدم عددا من المجموعات القصصية و الروايات المهمة ، و التي رصدت في قالب سردي إبداعي متميز الكثير من جوانب النضال الوطني ، هذا الأخير و ما أصابه من فساد و قهر و انتهازية سياسة و ظلم و تخلف ، و من بين رواياته التي حققت نجاحا رهيبا رواية " اللاز " ، ومن يسمع هذا العنوان يتبادر إلى ذهنه مباشرة بأن الرواية تحمل عنوانا عاميا شعبيا ، بالفعل " فالطاهر و طار " من الروائيين الجزائريين الذين وظفوا التراث الشعبي في رواياته " فقد حملت رواياته خصوصية المجتمع المتمثلة في الموروث الشعبي ، إذا ليس في متناول كل كاتب يمتلك أدوات فنية وحداثية أن يقولبها في طابع شعبي عريق ، ثم التمكن بمهارة المقتدر من لعبة الزمن ، إذا لا يوجد في اللاز ذلك الزمن الواحد المتسلسل ، بل تسير أحداث النص و شخصياته عبر عدة أزمنة متداخلة ، و متشابكة دون أن يخيل البناء الروائي أو يضطرب تطور الشخصيات و الأحداث " [1]كما نجد أيضا الروائية الجزائرية التي و بالرغم من حداثة ظهورها إلا أنها فرضت نفسها في مجال الرواية العربية و الجزائرية ، على وجه الخصوص وجعلت جل الأضواء تتجه نحوها ، فقد أخذت بالرواية الجزائرية إلى مكان بعيد ، و هي الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي " صاحبة الروايات الثلاث الأكثر شيوعا (ذاكرة الجسد ، عابر سرير ، فوضى الحواس) فالروائية الشهيرة دون شك ستخلد اسمها في عالم الرواية ، كما أن " أحلام مستغانمي " من دعاة التجديد في فن الرواية المعاصرة ، و التي تبحث عن أدوات جديدة في انجاز الأعمال الروائية .

لقد وظفت " أحلام مستغانمي " التراث الشعبي في رواياتها ، و نخص بالذكر روايتها " ذاكرة الجسد " [2]و هي الأكثر انتشارا في العالم العربي و العالمي ، فقد استلهمت من الأسطورة الشعبية حكايات خيالية و قامت بنسجها في بنائها الروائي من أجل أن تبين لنا تفكير الإنسان البدائي الذي لا يستسلم للتخلف و القصور و النقص ، فهذا الإنسان البدائي خطى بأداة فذة خلق بها عالما جديدا لم يكن موجودا مسبقا ، و هذه الأداة هي الأسطورة التي تتسم بالوسائل السحرية و الرمزية و لا تقف أبدا أمام العجز ، فمثلا : وظفت الأساطير الشعبية الجزائرية ، كأسطورة الوالي الصالح سيدي محمد لغراب ، له ضريح بقسنطينة ، وهذه الأسطورة تعكس المستوى الثقافي الجزائري المتخلف على وجه العموم ، و هذا إن دل على شيء انما يدل على إيمانهم العقائدي المسبق بهدي الأولياء الصالحين حتى تستجيب لدعواتهم .

---

(1)- بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي الجزائر 2000 ص 61

(2)-أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ،منشوراتANEP الجزائر 2007. ص360

كما أنه لا يمكننا العبور في صرح هؤلاء الروائيين الكبار دون أن يستوقفنا الروائي الغني عن التعريف"واسيني الأعرج" الذي يعتبر من أهم الروائيين العرب اليوم ، وقد أخذ هذه المكانة العالية في المشهد الثقافي العربي و الجزائري و حتى العالمي ، بإبداعاته الغزيرة التي تغوص في الواقع الجزائري بكل تفاصليه و تناقضاته ، بلغة فيها الكثير من العجائبية و البساطة ، فشخصياته الروائية عالمية و رومانسية و صادمة و أسلوبه يمزج بين الجدية و السخرية ، لذلك لاغور في أن تجد رواياته و كتاباته العديدة تحظى بالقبول لدى القراء و النقاد .

فالروائي العالمي صاحب الهوية الجزائرية كغيره من الروائيين الجزائريين الذي خضع لمؤثرات و ظروف شكلت في مجموعها دوافع للرجوع إلى التراث ، و وضعه أمام حاجة ملحة للاستفادة من إمكانياته و مخزوناته و تجاربه التي تتسم بكثير من النضج ، و لقد حرص " واسيني على تجديد تجربته الإبداعية و توسيع دائرة الإبداع بتوظيف التراث الشعبي بأشكاله المتعددة ، واعيا بما تقدمه هذه الأشكال و العناصر التراثية لتجربته المعاصرة ، و في الوقت ذاته مدركا لأهمية التنوع في مستويات خطابه السردي كل ذلك لإطراء الفهم الواعي و المتعمق لطبيعة التواصل مع التراث و أهميته التي تحيل النص الروائي إلى صور عاكسة لتلاحم الأزمنة و تلاقي الأفكار في بوثقة الرؤية الواحدة التي تفسر عنها التجربة.

إذن " فواسيني الأعرج " من بين الروائيين الجزائريين الذين خاضوا في مجال الرواية الجديدة التي عرفت التراث الشعبي بشكل موسع ، وجعلت منه أحد أهم العناصر التي تبنى من خلاله الرواية الجزائرية المعاصرة ، و بذلك فقد ساهموا في إثراء هذه الأخيرة بذلك الزخم التراثي الذي يزيد من عمق الدلالة و الإيحاء ، كما يضفي الطابع الفني الجمالي .

و الدراسة التي نحن بصددها تهدف إلى التأكيد على فرضية مؤداها مضمون توظيف الروائي " واسيني الأعرج " للتراث الشعبي من خلال عناصره و أشكاله في روايته الشهيرة " سيدة المقام " و التي وضع لها عنوان فرعي و هو " مرثيات اليوم الحزين "

مقدمـــــــــــة الفصل الثاني:

على عكس غالبية الأدب الجزائري المرتبط بقوة الإيديولوجية أيا كانت طريقته في العرض ، يطالعنا الروائي الجزائري " واسيني الأعرج " برواية مضادة للتراكم الروائي الجزائري ، إنها رواية تطرح الانشغالات الإيديولوجية جانبا ، و تغوص في عمق الثقافة المحلية ، و تدخل القارئ في متاهات الواقع المحلي ، و البنية الشعبية بتقاليدها و نمط تفكيرها ، ممثلا في الحياة السياسية التي قلبت البلاد رأسا على عقب ، و أحدثت حالة طوارئ في فترة الثمانينيات التي ظهر فيها الانقلاب على نظام الحزب الواحد و الدعوة إلى التعددية الحزبية في الجزائر لكن هذا الانقلاب خلق مآسي كبيرة ، و أنجب طاعونا في البلاد سموا أنفسهم مصلحين ، و الحقيقة أنهم عكس ذلك تماما ،كما تغوص أيضا في الحياة الاجتماعية من عادات و تقاليد و عرف ، و التي كبدت الحياة و زادت في تعقيدها .

و منه ، فرواية " سيدة المقام " تعالج قضية الواقع الجزائري في فترة من فتراتها العصيبة من جميع الجوانب سواء اجتماعية أو سياسية و اقتصادية كذلك .

1- ملخص رواية " سيدة المقام " :

تدور أحداث رواية " سيدة المقام " للروائي الجزائري " واسيني الأعرج " حول الأوضاع السياسية التي سادت البلاد الجزائرية في فترة نهاية الثمانينيات و بداية التسعينات ، حيث شهدت الجزائر حالة من تدهور الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية ، و تفشي الفساد ، و انتشار الرعب و الخوف في نفوس الجزائريين و ظهور قطاع من الناس أسهم في ازدياد التوتر و الاقتتال ، و غياب الأمن الناتج عن جملة من الممارسات غير المشروعة ، فقد عبر عنهم " واسيني الأعرج " بمصطلح " حراس النوايا " ، هؤلاء الذين وضعوا أنفسهم في مقامات رجال الدين ، واضطلعوا بصناعة الفتوى التي تصب في صالح " حراس النوايا " لا غير . تمحورت هذه الرواية حول شخصيتين أساسيتين هما " "الراوي أو الروائي " و " مريم " ، " فالراوي " تقمص شخصية الأستاذ الجامعي الحاصل على شهادة دكتوراه في نقد الفن الكلاسيكي من جامعة بريطانية ، كما أنه يقوم بالتدريس كذلك في المعهد الأعلى للفنون الجميلة ، و قد صوره " الأعرج " رجلا ساخطا عن الأوضاع التي تمر بها الجزائر ، رافضا لواقعه المر عاجزا أمام ما يراه من دمار .

أما مريم " فهي بطلة القصة ، و هي تمثل الحضارة و الثقافة نتيجة شخصيتها المتحررة ، و هي تلميذته راقصة الباليه الرائعة التي عشقها حتى الموت ، فتاة في ريعان شبابها ، مندفعة ، عاشقة لوطنها ، رافضة للرضوخ للواقع ، و متمردة على العادات و التقاليد التي فيها قيد لطموحها.

مرت " مريم " مند نعومة أظافرها بمآسي لا تحتمل ، فهي الفتاة الريفية التي اختلط نسبها بسبب زواج أمها من عمها بعد وفاة أبيها الذي اعتبره البعض شهيدا ، في حيث قال آخرون أنه انتحر بعدما عرف بزواج أخيه من زوجته ، و بعد ولادة " مريم " ظن الكل أنها أبنت عمها إلى أن اكتشف الجميع الحقيقة ، بعد ما علم عمها أنه غير قادر على الإنجاب ، فحول حياتها و حياة أمها إلى جحيم ، و لما كانت شخصيته ضعيفة هرب إلى الدين ليتخفى تحت طاقيته ، المهم أن الحقيقة هي أن مريم ابنة " الحسن " و ليست ابنة عمها "العباس ".

بعد ذلك انتقلت مع العائلة إلى ولاية " سيدي بلعباس " عمل عمها الذي تحول إلى انتهازي ، ليستقر بعد ذلك في السجن بعد سلسلة من الأحداث ، و خلال إقامة " مريم " بسيدي بلعباس" تعرفت على "أناطوليا" جارتها التي تسكن بجوارها ، و " أناطوليا " القادمة من " موسكو " هي أستاذة في رقص الباليه ، و بسب جشع عمها لم تجد " مريم " مفادا تذهب إليه سوى " أناطوليا " التي قامت بتعليمها الرقص ، و أدخلتها إلى فرقة الباليه ، أحبت " مريم " كثيرا " أناطوليا " لدرجة أنها أصبحت لا تستطيع العيش من دونها .

و نتيجة للأوضاع السيئة في البلاد اضطرت " أناطوليا " للانتقال إلى " العاصمة " بعد أن أقفلت صالة الرقص ب " سيدي بلعباس " و حرصت على أن ترافقها مريم و عائلتها ، و بالفعل كان لها ذلك ، فقد سكنوا بحي " باب الوادي " تعلمت " مريم " الرقص بشكل باهر و عشقته حتى النخاع ، فقامت بالاشتراك في رقصة باليه " زواج الفيغارو" الذي لم يحالفها الحظ فيه ، مما دفعها إلى " باليه البربرية " ، فذهبت إلى القبائل لتتعلم و تقوم بالتحضير له بشكل أفضل .

و بعد ذلك تم تقدمها لرقصة البربرية و تلقت نجاحا كبيرا تحدث عنه الجميع ، و نال إعجاب النقاد ، لأن البربرية فيها شيء من هذا الوطن الذي يبحث عن التحرر و التخلص من همومه ، و البحث عن الحياة بعد هذا الموت و عدم الرضوخ و الاستسلام للأمر الواقع .

هذا النجاح الذي تلقته "مريم " كان دافعا قويا لتقوم بتقديم " باليه شهرزاد " "للرمسكي كورساكوف " الذي حضرت له بكل روحها ، و لكنها لم تقم بتقديمه. و خلال مدة سكنها بحي "باب الوادي " تعرفت " مريم " على رجل يدعى " حموده " ، و هو إنسان بسيط ، حامل لشهادة ليسانس في الحقوق ـــ يعمل موظف في البريد المركزي- ، كان يبدو طيبا و ذا قلب واسع ، تقدم " حموده " لخطبتها فقبلت به لأنها كانت تود التخلص من قساوة عمها ، لكن لم يحصل ما كان في بال " مريم " فذلك الرجل الطيب كشر عن أنيابه في ليلة الزفاف ، حيث رفضت " مريم " أن يلامسها ، و منذ ذلك الحين تابعت " مريم " رحلة جحيمها مع رجل آخر ليس عمها ، فهذا الرجل لم يسكت عن الوضع لأن طقوس الزواج تفوض عليه أن يكون رجلا في تلك الليلة ، وحتى يسكت كلام الناس قام باغتصابها ثم طلقها بعد ذلك واتجه هو إلى جانب الدين الذي أصبح في ذلك الوقت موضة كل فاشل في الحياة ، و بعد كل هذه المعاناة مع زوجها قررت "مريم" العودة مجددا إلى بيتها .

و في تلك الفترة كانت الحياة العامة في البلاد في أوج توترها ، حيث اختلط الحابل بالنابل ، فكان المتدينون الذين يريدون تحويل الجزائر إلى دولة إسلامية المظهر لتحقيق أهدافهم الخفية يقومون بأفعال تخريبية ، فهرب أصحاب المال و النفوذ من البلاد ، و تفشى الفقر و الجوع جراء انخفاض أسعار النفط .

وصلت الأمور إلى ذروتها ، و قام أنصار التيار الديني بإضرابات و مظاهرات هزت شوارع " باب الوادي " و حاولوا اقتحام ثكنة "باش جراح" أين أهدى الوطن شهادة تقدير لمريم ، فكانت الهدية رصاصة طائشة استقرت في رأسها و هي تحاول انقاد شاب من الموت ، عجز الأطباء عن نزع الرصاصة لحساسية موضعها ، فطلب منها التعايش معها حتى يحين أجلها لكن شرط التحفظ في حركاتها .

عاشت " مريم " بعد ذلك بعض السنوات مع قصة حب و غرام مع أستاذها الذي أحبته بجنون ، كذلك هو بدوره عشقها و تمنى دائما الموت قبلها ، فكان دائم الحرص عليها و القيام بمساعدتها حتى يوم " الجنون العظيم " .

بدأت النهايات تظهر الواحدة تلوى الأخرى، حيث قام " حراس النوايا " الذين وضعوا أنفسهم وصايا على الوطن بغلق المعاهد وصلات الرقص ، و تحويلها إلى ملاجئ للذين خسروا مساكنهم إزاء تلك الانتفاضة، كما تعرضت " أناطوليا " إلى التهديد وطلب منها مغادرة البلاد .

ونظرا لكل هذه الأوضاع المتفشية قررت " مريم " تحقيق آخر أحلامها في تأدية رقصة " شهرزاد" لحبيبها و صديقتها " أناطوليا " ، و أخيرا قامت " مريم " بأداء رقصة "شهرزاد" في مسرحية موسيقية على أنغام " نيكولا ريمسكي كوف " ، فبالرغم من أن هذه الرقصة خطيرة على حياتها إلى أنها قامت بهذا العمل الجنوني ، فكانت جد ماهرة و رائعة ، فكانت أثناء رقصها ترى نفسها متقمصة لشخصية " شهرزاد " ، لكن بعد أن انتهت من تأدية الرقصة ازداد وضعها سوءا ، بالإضافة إلى مغادرة أناطوليا " البلاد بسبب فسخ عقدها و تعرضها لتهديدات مستمرة.

بدأ كل شيء جميل يموت في هذا البلد ، و توالت بعد ذلك الأحداث ، فتفاقمت وضعية مريم الصحية ، فنقلت إثر ذلك إلى مستشفى " مصطفى باشا " الذي كان المحطة الأخيرة لها .

لم يحتمل أستاذها و حبيبها كل هذه المآسي ، فقد عم الحزن و الأسى في كل مكان ، و توالت النهايات المؤلمة الواحدة تلوى الأخرى ، ففقد الأمل و استسلم ، وقرر الانتحار ووضع حد لحياته التي لم تصبح لها معنى دون " مريم " ، فكان جسر " تليملي " وهو- أعلى جسر بالعاصمة ـــ المهرب الوحيد و الحل النهائي ، وودع بذلك الواقع المر و الحياة البائسة ، و غادر إلى محبوبته " مريم " كي لا يبقي وحيدا .....[1]

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ،

2- استلهام التراث الشعبي في رواية سيدة المقام :

إن النص الروائي صنعة لها مهاراتها المستمدة من طبيعتها الخاصة ، ولذلك استلزم على الكاتب حشد قدراته الإبداعية من أجل توظيفها لتشكيل ما يسعى إليه ، مستخدمة في ذلك تقنية " التناص " الذي يساعد على خلق جو داخلي له من القدرة في حمل التواترات ، و إبراز بؤر الصراع النفسي الذي يساعد على إضفاء الكثير من القيم الجمالية ، ولا نريد فيما يتصل بهذه التقنية إلزام الروائي بالخضوع للصيغ الجاهزة و الامتثال للقوالب الجامدة التي أعدت سلفا ، و إنما نريد حشد بعض الطاقات الفنية التي اشتركت الذهنية الشعبية في إبداعها ليكتسي النص من خلالها بعدا اجتماعيا و نفسيا ....[1]

و هذا ما يراه الروائي " واسيني الأعرج " حينما قال : " أنا عندما أكون ابن قريني أكون عالميا "، أي أن " واسيني " يرى بأن الوصول إلى العالمية لا يعني أبدا التخلي عن التراث القديم الذي يرى فيه " الأعرج" البقاء و الاستمرارية و فرض الوجود.

و هذا ما يتبين من خلال روايات واسيني الأعرج " التي تحكي الواقع بكل جوانبه مستمدا أفكاره من الحياة المعيشية ، و هذا لأنه يؤمن بأن لغة الشعب هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن من إيصال المعنى ، بالإضافة إلى ما تضفيه من جمالية في النص الروائي .

ولكي ندرك مدى ارتباط " واسيني الأعرج " بالتراث الشعبي ، سنقوم بدراسة وصفية نستخرج من خلالها مظاهر التراث التي وظفت في روايته " سيدة المقام " .

---

(1)- بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ،الجزائر2000 ، ص 19

أ/ المثـــل الشعـــبي :

لقد شغل المثل حيزا مهما في الإبداع الروائي لدى " واسيني الأعرج " لدرجة أنه أصبح معها بؤرة تلتقي فيها رواياته بخطاباتها المتنوعة و سياقاتها المتباينة ، و استثمار المثل الشعبي في الأعمال الروائية أمر يكتسي أهمية بالغة ، فهو يخدم البناء الروائي على المستويين التقني و الجمالي ، و المثل مرآة تعكس مظاهر الحياة الاجتماعية في سلوكاتها و معتقداتها و عاداتها ، كما يمنح النص دينامية معرفية و لمسة شعرية ، و يعمل على تخصيبه على مستوى التناص مما يكسبه ثراء فنينا و دلاليا تتفجر من خلاله جملة من الرؤى و المعاني المتجددة .

و نظرا للمساحة الكبيرة الذي شغلها المثل الشعبي في الرواية ، و غزى بناءها السردي ورد بشكل ملفت للنظر ، حيث تكرر في وضعيات مختلفة ، سواء على مستوى الوظيفة أو البنية الدلالية ، إذا أنه في كل مشهد يمنحه الكاتب معنى مغاير يختلف عن سابقيه و " دلالة أعمق من الأولى ليظهر قوة المثل التي يستطيع أن يبرزها عندما يحسن استخدامه " .. [1] و قد جاء المثل مبثوثا في ثنايا الرواية و مفاصلها ، ليؤكد فكرة بديهية مفادها أن الجزائر ملك الجزائريين و ليست ملك حراس النوايا ، فالمثل في الرواية لسان حال الشعب و الناطق باسمهم .

لم يرد المثل الشعبي في الرواية ليضفي حالة جمالية فحسب ، أو من أجل التنويع في مقامات و مستويات الخطاب السردي ، بل جاء أيضا عنصرا فاعلا و مؤشرا في الحدث الروائي و موجها له ، إذ ورد في مواقف ذات أهمية بالغة في الخطاب السردي ، و بوصفه عصارة تجربة الأسلاف جاء إعلانا عن حالة طوارئ في البلاد ، نتيجة ظهور "حراس النوايا" الذين أخذوا يفسدوا في البلاد و يعكروا صفوة الحياة .

لقد أحدث المثل الشعبي مدلولات و معان متجددة تتفاعل مع مجريات الأحداث فتتنامى بتناميها وتتصاعد بتصاعدها ، كما اتكأت الرواية على الذاكرة الشعبية ، فقامت بالاستلهام منها المثل الشعبي لتشيد عبره و منه عالمها السردي .

(1) – بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر2000 ، ص 19

و من الملاحظ و انت تقرأ رواية سيدة المقام يتبادر إلى ذهنك مباشرة بان الروائي " واسنيي الأعرج " ذو رابطة قوية بمجتمعه ، و هذا انطلاقا من غزارة الأمثال الشعبية التي وردت بقوة واضحة في روايته و نجد من بين هذه الأمثال الشعبية (الريح اللي تجي تذيه) ، و هذا المثل الشعبي متداول في مجتمعنا الجزائري من قبل العام و الخاص ، و يقال للإنسان ضعيف الشخصية الذي يؤمن بآراء الآخرين و ينحو نحوها .

و قد ورد هذا المثل الشعبي في الرواية ليوضح لنا حال الشارع الجزائري الذي فقد هويته ، وذاب في هوية الآخرين ، فنسى كل ماله من حضارة و ثقافة ، و أصبح عبدا لثقافة الغير . و قام الروائي بتوظيفه على لسان أستاذ الفن الكلاسيكي (أستاذ مريم) حينما كان يصف لها حالة الضياع و إحساس الغرابة التي يحسها و هو يجول شوارع الجزائر ، و لا يجد ما يربط الجزائر بأصالتها ، حيث قال : (أتمترس وسط شارع ضيع ملامحه الأولى و اندفن داخل الألبسة المستوردة من الخليج و الشرق الحزين ، و أفغانستان و إيران ، مصر ، العراق ، كأنه لم يعرف يوما ألبسته الخاصة .....)[1] ، وبعد ذلك أخذ يذكر لها الألبسة التي تعبر عن حضارة الجزائر (الفولار البربري ، العباية الواهرانية ، الهلالة القسنطينية ، الحايك التلمساني ، الذي لا يظهر الا سحر العنينين ، و القوفية و البلغة)[2] و بذلك فالمثل الشعبي الذي ذكره يوصل لنا الفكرة بطريقة سهلة و سلسلة و مفهومة .

- (حوحو شكار روحو)[3] و يقال هذا المثل الشعبي للشخص الفخور بنفسه . أما في الرواية فقد ذكر فخر وغيرة و حب الأستاذ للجزائر ، أي حب ابن الجزائر لبلاده و فخره بها ، فقد سألت مريم أستاذها عن إذا ما كان مزال يود الكتابة عن " البربرية " ، فأجابها "بـــ طبعا " ، بعد ذلك قالت هذا المثل الشعبي ، لأنه إذا لم يشكر و يفخر أبناء الجزائر بوطنهم من يفعل ذلك .

---

(1) – واسني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص23 .

(2) – المصدر نفسه ، ص23.

(3) – المصدر نفسه ، ص74.

- (جاو يكحلوها عماوها) [1] ، وهذا المثل موجود بقوة في الأوساط الشعبية الجزائرية ، و يقال في الشخص الذي يود فعل شيء ما فيقوم بفعل سيء ، و هذا نفس السياق الذي مشى الروائي عليه حينما وصف لنا ما آلت إليه الجزائر من فوضى ، و فقر و جوع و فساد و بطالة ، نتيجة وجود سياسيين في البلاد قاموا بوضع دستور و ميثاق من أجل تنظيم الأمور لكن لم يوفقوا في ذلك ، بل على العكس تماما حكموا على الشعب بالزوال مسبقا .

- (راسك حجرة) [2] : و يعني الشخص الذي لا يقبل النقاش و لا يتنازل أبدا على ما يجول بخاطره ، كما أنه شخص صعب الإقناع ، و هذا ما رآه " واسيني "في مريم حينما أصرت على أستاذها أن يجيبها إن ما كان سيجزن عليها عندما تموت أم لا ، و بالرغم من محاولاته المتكررة لتحاشي الإجابة، إلا أن مريم بقيت مصرة على سؤالها .

- (دخل شعبان في رمضان) [3]: و هذا المثل الشعبي ينطبق على الشخص الفوضوي الغير مرتب ، الذي يدخل عدة أمور متباينة مع بعضها البعض ، و هذا ما رآه "واسيني الأعرج" في وصف حال البلاد ، التي زعزع نظامها، و فسد قومها ، و ذهب اتزانها ، حيث قال " البلدية تسرق سلطة الدائرة ، و الولاية تسرق سلطة البلدية " و حتى يوصل لنا هذه الحالة بين لنا ذلك بشكل بسيط ، و مفهوم لدى الجميع.

-(الميت الله يرحمه ، و الحي يطول في عمره) : و يقال هذا المثل الشعبي خاصة عند التعزية ، ويقصد به أن الميت قد غادر و لن يعد أما الحي الذي هو معنا فنطلب له العمر ، و نستمر في الحياة بجانبه ، ففي الرواية لم تستطيع "أم مريم" تقبل فكرة الزواج من أخ زوجها بعد فقدان هذا الأخير ، فما كان على "لالة حليمة " إلا إقناعها بذكرها لهذا المثل.

- (ما يحك جلدك سوى ظفرك) [4] : وهو مثل شعبي يعبر عن قوة الرابطة بين الأقارب خاصة ، فالظفر ملتسق باللحم ، كذلك الأقارب فهم متصلين لا منفصلين ، و هذا المثل الشعبي ذكر في الرواية ليفسر حالة الاستغراب التي راودت زوج أم مريم عن سبب تحمل زوجته (أمها) له .

---

(1) – واسني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص75 .

(2) – المصدر نفسه ، ص10 .

(3) – المصدر نفسه ، ص56.

(4) – المصدر نفسه ، ص96.

بالرغم من أنه شخص سيء و غير مسؤول ، ولا يحلم أبدا في الحياة و العيش الهنيء ، فما عليها إلا أن تجيبه بهذا المثل الشعبي الذي تقصد به أن من و اجبها أن تتحمل ذلك ، هذا لأنها زوجته التي تقاسمه همومه .

- (طلع الزبل لراسي) [1]: وهو النوع من المثل الشعبي الذي يتناوله الكبير و الصغير دون استثناء ، يعبر عن أقصى درجات الغضب خاصة إزاء موقف لا يستطيع تحمله ، و بذلك يكون هذا المثل هو التعبير الحقيقي أو التعبير الذي بإمكانه أن يوضح الحالة بشكل قوي ، و هذا ما تراه "مريم" أيضا حينما قالته لأحد" حراس النوايا" الذي وضع نفسه مسؤولا عن أمور البلاد و غيور على شبابه ، و مقهور على ظروفها ، فبعد انتهائهم من قتل الأبرياء ، ونشر الفساد ، و زعزعة قوام المجتمع و خلق الفتنة بين أفراده ، يظهرون بثوب أبيض ، طاهر ، مرصع بالذهب المزور ، يحرمون و ينهون عن المنكر ، ويأمرون بالمعروف ، كأنهم أناس أوفياء و لدوا من اجل الحفاظ على تماسك البلاد ، و إبعاد الخلق السيء عن أفراده، و نظرا لكون الجميع في الجزائر مدركون لحقيقة هؤلاء ، لم تستطيع " مريم " تحمل كل هذا النفاق و الغدر ، فقامت بالصراخ عليه نتيجة غضبها الشديد منه .

- (سكران و يعرف باب داره) [2] : ويقال هذا للشخص الماكر ، الذي يتلاعب بالناس من أجل تخليص نفسه ، و هذا ما كان يظنه الشرطي في الأستاذ الذي أبدى غرابته من سبب اعتقاله و أخده إلى مركز الشرطة ، فعند محاولته الاستفسار إزاء هذا الوضع ، رد عليه الشرطي بهذا المثل الشعبي الذي يقصد به أن الأستاذ لا تستطيع أن يخدعه لأنه يدرك الأمر .

-(يقتلوا الميت يمشوا في جنازتو) [3] : و هذا المثل الشعبي بوصف به الخونة و الغدارين الذين يطعنون الناس من ظهورهم ، فقد يؤذوك ثم يظهرون لك مدى اهتمامهم و قلقهم عليك ، و هو مثل شعبي موجود في أغلب الأقطار العربية و ليست الجزائر بمفردها ، و قد جاء في الرواية على لسان " مريم " حينما ظهر عمها بعد اختفائه نتيجة حملة الاعتقالات التي شنت في البلاد.

---

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص26 .

(2) – المصدر نفسه ، ص225 .

(3) – المصدر نفسه ، ص95 .

- (حتى القط و عندو شلاغم) [1] : وهو مثل شعبي يعبر عن التحدي ، و الوقوف الند بالند دون خوف أو استسلام للآخر ، و" مريم " بالرغم من أنوثتها وضعفها إلا أنها تحدت " حموده " زوجها حينما قام بضربها ، و هذا ما جعلها تستدعي هذا المثل الشعبي .

-(انسى الهم ينساك) : [2] : و يقال للشخص المحبط و الفاشل إزاء أمر عصيب لكي لا يبق تحت رحمة هذا الأمر الذي سيؤثر سلبا عليه ، و هذا ما نصحت به " مريم " في الرواية أستاذها الذي أراد السفر و ترك البلاد بسبب ما تمره به من ظروف سيئة و عصيبة و لا تحتمل ، فطلبت منه أن يبعد فكرة السفر من باله ، و أن يبقى في وطنه الجزائر و ينسى ما تمر به و يستمر بالحياة فيها .

- (تعلم لحفافة في روس ليتامى) [3]: و يعني به الاستغلال للأشخاص الضعفاء. و هذا ما رآه الروائي عندما تحدث عن الشباب الذي يحلم ببلاد الغربة التي - بالنسبة لهؤلاء الشباب – هي الحياة و الهناء و الرخاء و الراحة ، في حين أن كل هذا غير موجود فعلا ، لأنه لا يمكن أن تجد من يرحمك سوى بلادك ، بل على العكس لن تجد سوى الذل و الحقارة و الاستعباد و الاستغلال في بلاد الغربة ، لأنها تريد استخدام هؤلاء الشباب في العيش تحت رحمتها لا أكثر.

- (اللي يدير على الناس ، يبات بلاعشا) [4] : وهذا المثل الشعبي يقال للشخص الذي يولي اكثراته بالناس. وقد ورد في الرواية على نفس الصيغة حيث سألت " مريم " " حموده " عندما طلب منها الزواج ، إذا ما كان بإمكانه أن يصمد أمام كلام الناس عليه لأنه متزوج من راقصة باليه ، حينئذ أجابها بأنه لا يكترث لكلامهم.

---

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص112 .

(2) – المصدر نفسه ، ص44 .

(3) – المصدر نفسه ، ص55 .

(4) – المصدر نفسه ، ص103 .

-(سبع صنايع و الرزق ضايع) : [1] و هذا المثل ينطبق على الشخص الذي يملك كل شيء و لا يستطيع فعل ما يريده ، وقد وظفه الروائي ليبين حالة التذمر التي يعيشها الأستاذ ، فبعد تساؤل "مريم" حول الاسم الذي يجبذه الأستاذ ، هل تناديه باسمه أو بلفظه أستاذ ، فكانت إجابته كالتالي (خليك من حكاية أستاذ ، سبع صنايع و الرزق ضايع).

-(عاش ما كسب ، مات ما خلى) [2]: و هو مثل شعبي يقال للشخص الذي لم يكن مرتاحا في حياته ، و لم يترك أدنى شيء بعد وفاته ، و هذه هي حال السائق الذي يخدم في جهاز الدولة ، فكان دائم العمل يشتغل ليلا و نهارا ، بالرغم من الظروف المخيفة التي تعيشها البلاد و قد تؤدي بحياته ، إلا أنه تحمل ذلك و استمر في العمل من أجل أن يوفر لعائلته الحياة البسيطة دون الحاجة إلى أي شيء آخر ، فقط للاسترزاق من أجل الأكل و الشرب و اللباس ، و للتعبير عن هذا الوضع ذكر الروائي ذلك على لسان "مريم"

- (اللي قاريه الذيب ، حافظه السلوقي) [3] : و هو مثل شعبي يقال للشخص الذي نعرفوه جيدا ، و هذا هو حال "مريم " في الرواية مع أستاذها الذي أصبح كتابا مفتوحا بالنسبة لها ، فحين رفض الإجابة عن ما إذا كانت ستموت هي الأولى أم هو ، فأبقى على رأيه المتمثل في رفضه للإجابة عن هذا السؤال ، و عند إصراره على ذلك ، فقالت له (أنت هو أنت ، اللي قاريه الذيب ، حافظه السلوقي) [4].

- إن توظيف واسيني الأعرج للمثل الشعبي في الرواية قد أعطاها نكهة خاصة ، و طابعا شعبيا ساهم في إبلاغ رسالته ، و ترصيعا مبثوثا بين ثنايا الرواية بشحنات العفوية و الصدق ، مما جعل الرواية تزداد جمالا و بريقا و لمعانا ، فواسيني الأعرج من خلال هذه الأمثال الشعبية أراد أن يقحم القارئ في النص ، حيث ينتابك شعور الانتماء إلى هذا الواقع الذي يرويه الكاتب من خلال استلهامه لمثل هذه المظاهر الشعبية التراثية.

---

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص76 .

(2) – المصدر نفسه ، ص199 .

(3) – المصدر نفسه ، ص9 .

(4) – المصدر نفسه ، ص9 .

ب/ الأغنية الشعبية :

لقد برزت الأغنية الشعبية بقوة في عالم الرواية المعاصرة ، وهذا لما تعطيه من بعد نفسي يحكي حقيقة العالم الداخلي المملوء بالأحاسيس المختلفة من فرح و حزن و شوق ...كما أن الأغنية الشعبية (ورثت رصيدا ضخما من الرموز و الدلالات الموحية ، الشيء الذي جعلها معينا لا ينصب للفنان الذي يستطيع أن يستمد منها ما يعني تجربته الفنية ، و يعمقها و يستفيد من طبيعتها الرامزة التي تتسم بالشمول و الاستمرار و القدرة على اختراق حاجز الزمن و لأن قابلية الإضافات الجديدة التي يطبعها بها الإنسان المعاصر ، و لو في وسائل أدائها و هو دلالة على تجددها ، و مقدرتها على تحمل الكثير من هموم العصر و ملابساته) [1] .

كما أن الأغنية الشعبية (غنية بالمغزى و الرموز التي تكشف عن تجارب الفرد الشعبي مع نفسه و مع الكون كله ، و لا عجب بعد ذلك إذا شعر أن العالم كله يتحدث من خلال هذه الرموز) [2] ، و نتيجة لهذه الصورة التي أخذت عن حقيقة الأغنية الشعبية ، جعل أغلب الروائيين يستحضرونها في رواياتهم ، إذ قلما نجد رواية لا تستلهم روح أغنية شعبية تعيش في أعماق المجتمع و يرددها الناس .

إذن فالأغنية الشعبية هي تعبير عن حالة اجتماعية يعيشها الناس و يتقاسمونها فيما بينهم ، وهذا ما جعل الروائي الجزائري يتخذ هذه الأغاني الشعبية في فترة الاستعمار خاصة رمزا للتعبير عن هوية الشعب و خصوصية محليته ، فوظفها ("محمد ديب" و "كاتب ياسين" أهزوجة يتغنى بها البساط ، كما استعملها "مولود فرعون" أهزوجة قبائلية ، متخذا " السي محند " بأشعار البربرية الرائعة ميزة هذا الشعب الواقع تحت سيطرة الإقطاع الغربي) [3] .

و نظرا للدور البارز الذي لعبته الأغنية الشعبية في عالم الرواية المعاصرة ، نجد الروائي " واسيني الأعرج" يستمد منها تلك السمة القوية في إيصال حقيقة المشاعر و صدق الأحاسيس بصورة عميقة و واضحة .

---

(1) – بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر2000 ، ص :131 .

(2) – المرجع نفسه ، ص131 .

(3) – المرجع نفسه ، ص133 .

و هذا ما لمسنا في رواية " سيدة المقام " حيث عبرت الأغنية الشعبية عن مشاعر الشوق و الحنين و حزن الفراق ، و البحث عن ماض غابت إشعاعاته إلى الأبد ، ف " مريم أحست بحزن كبير و شوق إلى أيام البحر الذي كان يعج بالأطفال و الأصدقاء و العشاق ، و كذلك حنينها لـــ " عمي " موح الصياد " الذي غابت إطلالاته المعتادة ، بأكله الشهي و دندناته التي تدوي أمواج البحر، ها هو ذا البحر يفقد كل هذا و يستغرق في ليل مظلم ، و فراغ رهيب ، و خوف دائم لأن "حراس النوايا " أصبحوا هم الوصايا عليه ، و يحققون مع كل المارة ، و يقومون بحرمان العشاق من اللقاءات ثم يقومون بأفعال مخلة للحياء ، كل ذلك كان تحت غطاء الشرعية الإسلامية التي كانت تخدم مصالحهم بالدرجة الأولى .

إن هذا السكون الذي غيم على البحر أثر في " مريم " و حرك فيها تلك المشاعر الدفينة من شوق و حنين إلى أيام خلت ، وتذكرها لأغنية "عمي موح " لدليل قاطع عن الغربة التي أصبحت تحس بها في هذا البحر ، حيث كانت الأغنية الشعبية ل" عمي موح " تقول :

يا موجة المسكين [1]

القلب راه حزين

في الشدة و اللين

ياموجة العاشق

يالبحر الغامق

راني فيك غارق

كي طيور الحوم

يا موجة لهبيل

العاشق راه قتيل

خليه يشهق فحضانك

إن هذه الأغنية الشعبية تحكي ألم الفراق و الحزن الذي يعيشه كل عاشق فقد من يحبه ، هذا العاشق الذي لم يجد أمامه سوى البحر كمتنفس له ، يروي له آلامه و اشتياقه ، فلعل هذا البحر يحرك ساكنا و يجلب له من ينتظره.

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص52 ، 53 .

إذن فحضور هذه الأغنية الشعبية في الرواية أعطاها بعدا كبيرا ، وصورة حقيقة تعجز اللغة التعبير عنها بهذا الشكل ، فقد استطاع الروائي أن يوصل ذلك الإحساس الذي لا يمكن رؤيته أو الحديث عنه، فالأغنية قامت بهذا الدور على أكمل وجه .

- لم تخلو الرواية من إحساس الشوق و الحنين و الحزن و الضياع ، لهذا و جب على الروائي أن يوصل ذلك الشعور ، فما كان عليه سوى الاستلهام من الأغاني الشعبية الجزائرية ، و من بين المغنيين الشعبيين نجد " عبد المجيد مسكود " و هو أحد رواد الأغنية الشعبية في الجزائر ، و من بين أغانيه المستلهمة في هذه الرواية نجد الأغنية التالية :

((وين نجي بابا سالم [1]

سنجاق ، طبول و محارم

و غواشي عليه ملايم

ماذا بنان ذوك السنين

غابت النية يا فاهم

راح ذاك الوقت الزين))

إن هذه الأغنية الشعبية تحكي ذلك التغيير المفاجئ الذي أصبح في الجزائر ، و " عبد المجيد مسكود " واحد من أبناء الجزائر ، عاش كل الذكريات الجملية بها . و هو كغيره من أبناء هذا الوطن استيقظ على فاجعة قلبت كل الموازين ، فتحولت هذه الغصة التي تجمدت في الحلق إلى كلمات مليئة بالحزن ،تعبر عن ولع الفراق و الوحدة.

لقد عبر الروائي من خلال هذه الأغنية الشعبية عن الألم الذي تعانيه " مريم " من جراء كل هذا ، ف " مريم " ابنة الجزائر مثلها مثل " عبد المجيد مسكود " يحسون بغربة موجعة ، و حنين إلى ماض فقد إلى الأبد ، فعوض أن تعبر " مريم " عن هذا الإحساس بكلمات تخرج من لسانها ، اكتفت بالضغط على زر الراديو في السيارة ، و جعلت "عبد المجيد مسكود " يحكي عوضا عنها .

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 193 .

كذلك استلهم الروائي أغنية أخرى ل " عبد المجيد مسكود " بعنوان " الجزائر يا العاصمة " ، وهي من أجمل ما كتب لحظة انهيار الجزائر و سقوطها ، و بما أن " عبد المجيد مسكود " عايش هذه الفترة المؤلمة ، و غنى عنها و عبر بكلمات نابعة من أعماق قلبه ، فقد كان ذو بصمة قوية في هذه الرواية. و قد كانت كلمات هذه الأغنية تقول :

من كل جهة جاك الماشي [1]

زحف الريف جاب غاشي

و ين القفاطين و المجبود

عاد طراز لحرير مفقود

وينهم خرازين الجلود

و ينهم النقاشين ؟ !

وين صانع سروج العود

و ينهم الرسامين ؟ !!

قولولي يا سامعين (....)

فـــ " عبد المجيد مسكود " من خلال هذه الأغنية الشعبية يبحث عن العاصمة ، عن تلك العادات التي كانت موجودة يوميا ، عن الحياة التي كانت سائدة ، عن فنانيها ، عن صناعتها ، عن كل ما يميزها .

و هذا ما كان يحس به " أستاذ مريم " في الرواية، البحث عن العاصمة وسط هذا الضياع ، وسط هذه الأمراض و الأوبئة ، وسط هذه البطالة و الفقر ، وسط هذه الفوضى العارمة ، عن جزائر الأمس ، و لكي يعبر الأستاذ "عن كل هذا قام بالضغط على المسجل و سماع هذه الأغنية التي جعل لها المجال لكي تروي بداله.

و نظرا لكل الظروف التي كانت تخيم على وطن يدعى الجزائر ، كان إحساس الحزن و الألم يعيش بداخل كل أبناءه ، فلم يكن الألم تعبيرا فقط عن حالة البلاد ، بل كان فقدان الأحبة و الأصدقاء كذلك – الذين كانوا ضحية هؤلاء الخونة و الجواسيس و المفسدين – و هذا ما كان يشعر به الأستاذ في الرواية عند دخول " مريم " المستشفى، كان يحس أن لحظة الوداع قد حانت ، أن " مريم " ستغادر ، أنه سيبقى وحيدا ، و بأنه لن يستطيع العيش بدونها فتبادر إلى ذهنه في تلك اللحظة الموجعة صديقته الشاعرة (صافية كتو) التي انتحـــــرت من أعلى قمة في جسر " تليملي " .

---

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 204 .

لكي تتخلص من عـــذاب هـــذه المدينـــة ، و بينما هـــو يتذكر ذلك سمع صـــوت المغني الأندلسي الجزائري (غفور) ، الذي كان ينبعث من البار و المقهى ، حيث كان يقول بصوت محزن وجنائزي .

"أنا مجفاك كاويتني " [1]

آولفي مريم

كيف الحال يا الباهية ! ...

يذيك النظرة الباشره

حييني من تم

آولفي مريم ....

إن هذه الأغنية الشعبية تعبر عن الشوق و الحنين لهذه المحبوبة ، و القلق عليها ، و لوعته لمعرفة أخبارها ، و البحث عنها لكي تحييه .

و قد جاءت هذه الأغنية الشعبية في وقتها بالنسبة للأستاذ ، فقد كان قلقا جدا على " مريم " التي كانت تصارع الموت داخل المستشفى ، بينما هو كان في الخارج ينتظر أخبارا عنها ، فسماعه لهذه الأغنية جعله يسافر بعيدا و كأنه يبعث مرسوله إلى " مريم " لكي ترد عليه ، لتسمعه ، و لتحسن بحاجته إليها .

- لقد تكررت نفس الأغنية الشعبية ل" الشيخ غفور " في نهاية الرواية

" أنا مجفـــاك كويتيني [2]

آولفـــي مريم

كيـــف الحال يالباهية ....

كيـــف الحال يالباهية ...

كيـــف الحال ؟ ! ...."

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 270 .

(2) – المصدر نفسه ص ، 284 .

لكن الاختلاف الذي كان بين هذه الأغنية و الأغنية السابقة ، في تكرار المقطع (كيف الحال يالباهية ....) ، و هذا التكرار هو دليل على مدى تعلق الأستاذ "بمريم " إلى درجة أنه قام بالانتحار بعد وفاتها ، فبينما هو يصف لنا لحظة عزمه على الانتحار ، و ذلك الشعور الذي راوده في تلك الأثناء ، خاصة عندما فتح ذراعيه في الهواء فلم يتذكر سوى تلك الأغنية الشعبية ، و هذا يعني تذكره "لمريم " التي قرر الذهاب إليها ، و عدم البقاء بعيدا عنها ، فقد كان يتساءل عن حالها لأنه كان قادما إليها . فقد عبرت الأغنية الشعبية في هذه الرواية عن الأزمات النفسية التي كانت مسيطرة على جميع الأفراد و ما يحدث من خراب و دمار ، كما أعطت كذلك بعدا جماليا حيث ساهمت في ترصيع النص و أضفت عليه من رشاقة بنائيتها و جمالها .

ج/ الحكاية الشعبية (القصة الشعبية) :

كغيرها من مظاهر التراث الشعبي أخذت الحكاية الشعبية حظها في بناء الرواية المعاصرة ، لكونها تضفي لمسة خاصة داخلها ، فحضور مثل هذه المظاهر في الرواية تسهل على الروائي عملية تصوير الواقع من خلالها ، كما أن استلهام الحكاية الشعبية في الرواية لا يعني أبدا أن الروائي قد هبط إلى مستوى متدني أو أنه عاجز عن بناء الرواية لقلة معرفته بعناصرها ، بل على العكس تماما فهو يريد إيصال فكرته و موضوعه بطريقة تكون أسهل و أوضح .

ففي رواية " سيدة المقام " نجد الروائي قد وظف لنا قصة " شهرزاد " و هي قصـــــة شعبية عالمية ، تروي أحداثها عن تحدي "شهرزاد" "لشهريار الملك" الذي كان معقدا من النساء بسبب خيانة زوجته له ، فقد كان كل ليلة يتزوج من فتاة و يقتلها في اليوم الموالي ، إلى حين ظهور " شهرزاد " التي أرادت أن تحمي بقية النساء من هذا الرجل الظالم ، فكانت حيلتها أن تقوم بسرد له حكاية بدون نهاية ، فكان لها ذلك ، حيث بقيت تحكي كل ليلة الحكاية و لا تنهيها إلى حين وصولها إلى ألف ليلة و ليلة ، و بذلك تمكنت من التغلب عليه .

لقد استلهم " واسيني الأعرج " هذه القصة في الرواية عبر اسمها ، حيث أطلق على رقصة الباليه ، اسم " باليه شهرزاد "[1] ، وقد كان من أصعب الرقصات على الإطلاق ، كما أن هذه الرقصة كانت حلم " مريم " الذي داومها حتى الموت ، فبالرغم من حالة " مريم " الصحية التي وقفت كعارض أمامها لتأدية هذا الحلم إلا أنها تحدت و أصرت على تقديمها بأكمل وجـــه ، و أعطت خلالها كل أحاسيسها و قـــوتها ، و كانت هذه آخر رقصة قدمتـــها " مريم " أو صلتها إلى مستشفى " مصطفى باشا " أين كان آخر محطة لها .

(1) – واسني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 82 .

إذن فرقصة " باليه شهرزاد " كانت تعني في الرواية التحدي و التحرر و الإصرار من أجل تحقيق المنال ، وبلوغ الهدف ، و نيل المراد ، هذا ما كانت " مريم " تصر عليه و لم يمنعها من ذلك أحد ، وكانت آخركلماتها لأستاذها و عشيقها : (أديت شهرزاد لك ، كان هذا حلمي) . [1]

د/الطقوس الشعبية (العادات و التقاليد) :

إن الطقوس الشعبية هي ميزة كل أمة ، حيث نجد أن لهذه الأخيرة معتقدات خاصة بها تميزها عن غيرها من الأمم ، فهذه الطقوس الشعبية كانت موجودة منذ الأزل ، فهي تمثل تلك الأساليب السائدة في أي مجتمع من نمط الحياة ، و احتفالات و مناسبات كالزواج و الختان .....هذه الطقوس الشعبية بقية إلى يومنا هذا ، و يقلدها الجيل اللاحق عن الجيل السابق و يحتفظ بها في ذاكرته ، لأنها تمثل أصالته .

و نظرا لكون هذه الطقوس الشعبية (العادات و التقاليد) هي من صنع المجتمع فإن ذخولها في مجال الرواية المعاصرة يكشف لنا هذا المجتمع ، فقد استمد منها الروائيين ما يمكنهم من تصوير الواقع بصورة أوضح ، كما أن توظيف هذه الطقوس في الرواية يجعلها تكشف عن خفايا النفس البشرية التي تعيش تحت رحمة هذه المعتقدات التي تكبل حريته و تضيق الخناق عليه. و نجد في رواية " سيدة المقام " للروائي " " واسيني الأعرج " حضور هذه الطقوس بفاعلية كبيرة ، فقد صور لنا معاناه المرأة الجزائرية في تلك الفترة التي نشرت الخراب في البلاد ، ف " مريم " هي مثال المرأة الحالمة و الطموحة التي حرمتها هذه المعتقدات من تحقيق أحلامها ، فحبها للرقص و الغناء جعلها تتحدى المجتمع و تقف ضد هذه العادات التي تحرم المرأة من ممارسة مثل هذه الفنون ، و ذخلت معهد الفنون الجميلة لتتعلم أحسن ، و تعرفت على " أناطوليا " لتصبح بعد ذلك أستاذتها في فن رقص الباليه .

و من العادات التي كانت أيضا منتشرة في مجتمعنا ، و لا تزال حتى اليوم في بعض المناطق ، زواج المرأة من أخ زوجها بعد وفاة هذا الأخير ، و ذلك لكي لا تبقى و حيدة ، و يتحدث الناس في شرفها ، فكان أخ الزوج هو الأولى بها .

(1) – واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 240 .

ونظرا لكون هذه العادة كانت تشد الخناق على المرأة الجزائرية إلا أنها لا تستطيع أن تتحدى هذه التقاليد ، و قد صور لنا " واسيني الأعرج " هذه الظاهرة في أم " مريم " التي فقدت زوجها و طلب منها الزواج من أخيه ، و بالرغم من رفضها بطريقة غير مباشرة ، إلا أن العادات و التقاليد كانت أقوى منها ، فقد كانت تقول بذاخلها : (من الصعب على أن أدخل سرير ينام فيه أخوان ، لكن القرية هكذا كانت ،نائمة في عمق في طقوسها المعادية للعاطفة و الفرد) [1] .

كذلك نجد طقوس الزواج الخاصة بليلة الزفاف التي تمثل شرف الفتاة و شرف أهلها ، فبعد الانتهاء من مراسيم الزفاف ، ينفرد الزوج بزوجته ، و يبقى الحضور في الانتظار إلى حين خروجها ، لكن هذه الليلة لم تكن محبذة لدى " مريم " التي رفضت الجماع مع زوجها ، و عارضت ملامسته لها ، لكن هذا الزوج يجب أن يستر الوضع ، فالكل في الخارج ينتظر فقام ، ((بقطع أصبعه ، و عندما واصلت مريم تعنتها جلس على ركبتيه على طريقة الساموراي ، ثم فتح أصبعه بهدوء عجيب و بدون ألم ، شعرت أن في عينيه رغبة كبيرة في القتل ، سال الدم بقوة ثم مسحه بقطعة بيضاء من الكتان الخاصة بالزفة ، فتح الباب ، رمى الخرقة في وجه الجموع المكتظة عند الباب ، تخاطفوها ، و لم يعد يسمع إلا صوت الأقدام ، وهي تضرب الأرض بقوة في رقصة المجاذيب ، و الزغاريد تتعالى بكل عنفوان)) [2] .

ولكن " حموده " لم يستطع أن يخادع الحضور ، فقد اكتشفت بعض الجارات الخبيرات بأن الدم ليس دم الزفاف و البكارة ، و لكنه دم أصبع رجل أخفق مع زوجته ، هذا ما زاد في حدة الوضع ، ف "حموده " يعيش تحت رحمة هذه العادات ، و يجب أن يثبت رجولته أمام الجميع ، فما كان عليه إلا أن يقوم باغتصابها من أجل أن يثبت للجميع بأنه رجل بكل معنى الكلمة ، و لكن هذه الرجولة توقفت عند هذه اللحظة فقط ، لأنه قام بتطليقها بعد ذلك ، المهم كان عنده أن يسكت مجتمعه الذي لا يرحم .

إذن ، ف"واسيني الأعرج " تمكن من خلال هذه الطقوس الشعبية أن يصور لنا ما كان المجتمع يعيشه ، و ذلك الصراع القائم بين الفرد و المعتقدات (العادات و التقاليد) ، أي قام باسترجاع هذه الطقوس الشعبية لتصوير الواقع من خلالها .

(1) – واسني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، الجزائر 2001 ، ص 82 .

(2) – المصدر نفسه ، ص 104 .

خاتمـــــة :

و أختتم بحثي هذا بالقول ، إن التراث الشعبي لا يزال قادرا على العطاء للتعبير في العصر الراهن ، وله قابلية لمواكبة العصر، لكن هذه المنابع الثرية ليست في متناول كل من ينتسب إلى عالم الرواية ، بل في يد روائيين حقيقيين أمثال الروائي الجزائري المتميز " واسيني الأعرج " الذي قدم لنا نموذجا فعليا عن علاقة التراث الشعبي بالرواية المعاصرة ، و القيمة الفنية و الجمالية التي يضفيها هذا التراث عليها .

فأثناء دراستي لرواية " سيدة المقام " أحسست و كأن " واسيني الأعرج " قام بإمساكي من يدي و أخذ يجوب بي وسط مجموع الأحداث التي نسج بها روايته ، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على قدرة واسيني الأعرج في أن يجعل القارئ لا يشعر و هو يواجه نصه بأنه خارج عصره .

إذن ، إن استلهام التراث الشعبي في الرواية له دور بارز وكبير ، إذ يجعل القارئ ضمن النص ، و يمكنه من أخذ صورة حقيقية وواضحة عن الواقع ، دون أن يراوده أي لبس أو غرابة تجعله يحس و كأنه أمام صورة خيالية .

كما أن " واسيني الأعرج " هو مثال الروائي المعاصر البارع الذي يقلب أوراق الذاكرة و ينفض عنها غبار النسيان ، بحثا عن إجابات لحاضر ملتبس و أفق مبهم .

خلاصة القول ، أن " واسيني الأعرج " استطاع أن يبرز لنا قوته الإبداعية من الناحية الفنية و الجمالية ، و براعته في توظيف التراث الشعبي في سرده القصصي.

قائمـــــة المراجــع و المصــادر

المصـــــــادر :

- ابن منظور لسان العرب ، ضبط نصه و على حواشيه د. خالد رشيد القاضي ، دار صبح و إديسونت بيروت ، ط1 الدار البيضاء 2006 .
- واسيني الأعرج ، سيدة المقام – مرثيات اليوم الحزين – منشورات الفضاء الحر ، الجزائر 2001 .
- عبد الحميد ابن هدوقة ، ريح الجنون ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر 1975
- أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، منشورات ANEP ، الجزائر 2007 .

المراجـــــع :

- ابراهيم منصور الياسين ، استحياء التراث في الشعر الأندلسي – عصر الطوائف و المرابطين – عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، ط1 ، الأردن 2006 .
- بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي ، الجزائر 2000 .
- عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1968 .
- أحمد فضيل الشريف ، في رياض الأدب الشعبي الجزائري ، عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافـــة العربية ، الجزائر 2007 .
- عبد الملك مرتاض ، الألغاز الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 .
- طلال حرب ، أولية النص ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت 1999 .
- شفيع سيد ، اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، ط3 ، سنة 1997 .
- عبد الحميد بورابو ، القصص الشعبية في منطقة بسكرة – دراسة ميدانية – الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر 2007 .
- التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 .
- عبد الله أبو هيف ، الإبداع السردي الجزائر ، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر 2007.

رسائـــل الجامعـــة :

-أحسن ثليلاني ، مخطوطة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث – توظيف التراث في المسرح الجزائري – جامعة منتوري قسنطينة 2010 .

- راضية عداد ، مخطوطـــــة ماجيستار في الأدب الشعبي الجزائري ، الأدب الشعبي في منطقة أم البواقي (النشر خاصة) ، جامعة منتوري قسنطينة 2006 .

المواقـــع الإكترونية :

- العربي الطائر ، مقالة استراتيجية التناص في العمل الروائي ، أكتوبر 2009 .
- http://www. Lissaniat . net / vintopic .php ? p : 7867 & sid
- ماجد المدحجي ، مجلة الحوار المتدن ، قراءات في عالم الكتب و المطبوعات ، العدد 1201 ، ماي 2005 .
- http://www. Ahewar org / showart – asp , aid ? : 37551
- حسام الخطيب ، روايات تحت المجهر – اتحاد الكتاب العرب – دمشق 1983 .
- http://www. Awn . dam . org